

کتابخانه مصنف سید کاظمی آباد دکن

نمبر درجہ اول ۲۵۲۳

تاریخ درجہ اول منتخب الملاح جزو اول قسم اول

نام کتاب محاضرات

فصل کتاب ۱۰۲

نمبر کتاب فن مذکور

مختار الملح

مختار ملح
من الرهبة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الاول

وهو استعمل على حكايات أدبية



مطبعة حارف ولاية بيروت الحلية ٣٣

طبعة طائفة مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين بيروت

سنة ١٨٩٠

5381
51A

٢٠
مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَتُورَانِ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى تُورَيْنِ. فَاجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَ فِي مَكَانٍ
يُمَكِّنَانِيهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا. فَأَنْفَرَدَا بِأَحَدِهِمَا وَخَالَفَا
إِنْ تَحَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ. فَلَمَّا أَفْتَرَقَا أَفْتَرَسَهَا جَمِيعًا
مُغْزَاهُ

أَنْ مَدِيتَيْنِ. إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهَا. فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ مِنْهَا عَدُوٌّ.
فَإِذَا أَفْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنٍ مَاءٍ يَشْرَبُ. فَتَنَظَرَ خِيَالَهُ فِي أَلْهَاءِ
فَحَزَنَ لِذِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرٍّ وَأَتَبَهَجَ لِعَظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا. وَفِي أُنْحَالٍ خَرَجَ
عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ. فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ
فِي الْجَبَلِ وَعَبَّرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لِحِفَّةِ الصَّيَّادُونَ وَقَتَلُوهُ. فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:
الْوَيْلُ لِي أَنَا الْيَمْسُكِينَ. الَّذِي أَزْخَرَيْتُهُ هُوَ خَلَصَنِي. وَالَّذِي رَجَوْتُهُ
أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَتَعَلَبٌ

أَسَدٌ شَاخٍ وَصَعْفٍ. فَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَجْتَالَ
لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ. فَتَأَرَضَّ وَأَلْتَمَسَ نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَارِ. وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ
زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يُعَوِّدُهُ أَفْتَرَسَهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَكَلَّهُ. وَأَتَى التَّعَلَبُ.
وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ فَإِذَا لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ

الْوَحْشِ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ: مَا لَكَ لَا تَدْخُلُ بَابَ الْحَصِينِ؟ فَقَالَ لَهُ
الْعَلَبُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هَذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَمِ
كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا. وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُهَيِّئَ
أَسَدًا وَانْسَانَ

أَسَدٌ وَانْسَانٌ أَصْحَابَا مَرَّةٍ عَلَى الطَّرِيقِ. فَجَعَلَا يَتَشَاوَرَانِ بِالْكَلَامِ عَلَى
الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ. فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّتِهِ وَبَأْسِهِ. فَنَظَرَ الْإِنْسَانُ
عَلَى حَاطِطِ صُورَةِ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا. فَفَحِكَ الْإِنْسَانُ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ:
لَوْ أَنَّ السِّبَاعَ مَصُورُونَ بِثَلَاثَةِ أَدْمٍ. لَمَا قَدَّرَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْنُقَ سَبْعًا
بَلْ كَانَ السَّبْعُ يَخْنُقُ الْإِنْسَانَ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يَزُكِّي الْإِنْسَانَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ
غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الْمَصِيدَيْنِ أَنْهَزَمَ إِلَى مَغَارِفِهِ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ
فَأَفْتَرَسَهُ فِيهَا. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيُّ لَأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ.
فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا

مَغْزَاهُ

أَنْ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقْعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ

(١) كثير نعمت لحدوثه يُقدَّر بحسب المقام والمراد ما خلق كثير

غَزَالٌ وَتَعْلَبُ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ. فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ. وَكَانَ الْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ
ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ الطَّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ. فَنَظَرَ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ: أَسَأْتَ يَا أَخِي.
إِذَا لَمْ تُهَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا حُونَ تَرَوِي فِيهِ. لَمْ يَأْتِنْ غَائِلَتَهُ
أَرْتَبُ وَلَبُوءُ

أَرْتَبُ مَرَّةً أَجْنَزَتْ يَلْبُوءُ وَقَالَتْ لَهَا: أَنَا أُنَجِّي فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيرَةً
وَأَنْتِ إِنَّمَا تِلْدِينَ فِي عُمْرِكَ كُلِّهِ قَذَا أَوْ زَوًّا: فَقَالَتْ لَهَا اللَّبُوءُ: صَدَقْتَ
غَيْرَ أَنَّهُ إِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبْعٌ

مَغْزَاهُ

لَيْسَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْكَثَرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْهَفِيدِ
إِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَتْ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبْيِضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةً. فَقَالَتْ فِي
نَفْسِهَا: إِنْ أَنَا كَثُرْتُ عَافِيَهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ. فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ. انْشَقَّتْ
حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَأَمَاتَتْ

مَغْزَاهُ

لَمَّا أَنَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَحْسِرُونَ رَأْسَ مَا لَيْسَ
بُعُوضَةٌ وَتَوَسُّمٌ

بُعُوضَةٌ يَعْنِي نَامُوسَةٌ وَقَفَّتْ عَلَى قَرْنِ ثَوْبٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ لَهُ: إِنْ كُنْتُ قَدْ هَظَنْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ: فَقَالَ لَهَا التَّوْرُ:
يَا هَذِهِ مَا شَعَرْتُ بِزُورِكَ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَافُكَ

مَغْرَاهُ

مَنْ بَطْلَبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ خَفِيرٌ يَلْفَى أَهْوَانُ

بُسْتَانِي*

بُسْتَانِي كَانَ يَوْمًا يَنْتَقِي الْبَقْلَ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا الْبَقْلُ الْبَرِّيَّ بَهِيَّ الْهَنْظَرِ
وَهُوَ غَيْرُ مَحْدُومٍ وَمُنْبَتٍ: فَقَالَ: لِأَنَّهُ تَرِيهِ أُمَّهُ. وَغَيْرُهُ تَرِيهِ رَيْبَتَهُ

مَغْرَاهُ

أَنْ تَرِيَةَ الْأُمَّ أَكْثَرَ تَأْيِيدًا لِي وَلِدَهَا مِنْ غَيْرِهَا

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ بَرَكِبَهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ
إِذَا أُتِيحَتْ لَهُ مَهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي
صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي هُنا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي
مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ نَشَاءُ

مَغْرَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُقَ بِي مَنْ يَسْتَعِينُونَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ

إِنْسَانٌ وَخَنَزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَعَ حَمَلٍ عَلَى بَيْهَمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعِذًا وَخَنَزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا الْمَدِينَةَ
لِيَبِيعَ الْجَمِيعَ. أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعِذُّ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْخِذَانِ الْبَيْهَمَةَ. وَأَمَّا الْخَنَزِيرُ
فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرَضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: يَا شَرُّ الْوُحُوشِ. مَا لِي

أَرَى الْكِبْشَ وَالْعُتْرَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِّيَانِ . وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَفِرُّ :
فَقَالَ لَهُ الْخَزِيرُ : كُلُّ يَعْزُبُ شَأْنُهُ . أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْكِبْشَ لِيُصَوِّفَهُ . وَالْعُتْرُ
لِلْبَيْتِهَا . وَأَنَا الشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ . فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُولِي إِلَى الْمَدِينَةِ
إِلَّا إِزْسَالِي إِلَى السَّلَاحِ

مُغْرَاهُ

أَنَّ الَّذِينَ يَغْرِقُونَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ
سُخْفَاهُ وَارْتَبُ

سُخْفَاهُ وَارْتَبُ تَسَابِقًا مَرَّةً . وَجَعَلَا أَحَدَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ . أَمَّا
الْأَرْتَبُ فَلَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخِيفَةِ فِي الْجُزْيِ . تَوَاتَى فِي الطَّرِيقِ وَنَامَ .
وَأَمَّا السُّخْفَاهُ فَلِعَلِّهَا يَنْقُلُ حَرَكَتَهَا لَمْ تُكُنْ لِيَسْتَفِرَّ وَلَا تَتَوَاتَى فِي الْأَسِيرِ
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعِنْدَمَا اسْتَبَقَتْ مِنْ نَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ
سَبَقَتْ فَتَدِيمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مُغْرَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْعَوِيِّ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَيَغْفِلَ أَمْرَهُ . فَيَنْفَلِ
وَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ

ذَيْبُ

ذَيْبُ مَرَّةً أَخْطَفَ خِنُوصًا . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لِقَابِهِ الْأَسَدُ فَأَخَذَهُ
مِنْهُ . فَقَالَ الذَّيْبُ فِي نَفْسِهِ : لَا غَرَوْا أَنْ يَكُونَ الْغَايِبُ مَغْضُوبًا . فَإِنَّ الْبَغْيَ
مُضَرَّعُهُ وَحِمُّهُ

مَغْرَاهُ

أَنْ مَا يَكْتَسِبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ. وَإِنْ دَامَ فَلَا يَنْهِنُهُ بِهِ. كَمَا
وَرَدَ: مَنْ أَصَابَ مَا لَا مِنْ مَهَارِشَ. أَذْهَبَ اللَّهُ فِي نَهَارٍ

الْعُوجُ

الْعُوجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِ: لَوْ أَنَّ لِي مِنْ يَهْمٍ لِي وَيَنْصِنِي وَيَسْقِينِي
وَيَحْدُثُنِي. لَا أَشْتَهِي الْمُلُوكَ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَنَهْرِي. فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ
فِي أَجُودٍ حَمَلٍ فِي الْبُسْتَانِ. وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دُفْعَتَيْنِ. فَشَاءَ وَقَوِيَ.
وَتَفَرَّغَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ الشَّجَرِ. الَّتِي حَوْلَهُ وَأَصْلَتْ عُرْفُهُ فِي الْأَرْضِ.
حَتَّى امْتَلَأَ الْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ كَثْرَةِ شَوْكِهِ. فَلَمْ يَبْدَأْ أَحَدٌ بِسْتَطِيعِ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَغْرَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ مُوَفَّقَانَهُ كُلَّمَا أَكْرَمَتْهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ وَتَهَرَّدَ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ: وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَهَرَّدَ

صَيِّ

صَيِّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ. وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ. فَأَشْرَفَ عَلَى
الْفَرْقِ. فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يُلُومُهُ عَلَى
نُزُولِهِ إِلَى النَّهْرِ. فَقَالَ الصَّيِّ: يَا هَذَا. خَلِّصْنِي أَوْ لَا مِنْ الْمَوْتِ ثُمَّ لَمَنِي

مَغْرَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شَيْءٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوْ لَا ثُمَّ لَمَنِي

صَيِّ وَغَرَبَ

صَيِّ سَرَّهَ كَانَ يَصِيدُ الْجَرَادَ. فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَهَا جَرَادَةً. فَهَدَأَ بِكَ

لِيَأْخُذَهَا يُنْمِ تَبَاعَدَ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَحْلَيْتَ عَن
صَبَدِ الْجَرَادِ

مُغْرَاهُ

أَنْ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُبَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَيُدِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَذِيرًا
عَلَى حَدِيثِهِ

حَامَةٌ

حَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ. فَأَقْبَلَتْ تَحْمُومٌ حَائِطٌ فِي طَلَبِ الْمَاءِ. فَنَظَرَتْ
عَلَيْهِ صُورَةَ صُحْبَةٍ مَهْلُوفَةٍ مَاءً. فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ
الصُّورَةِ فَأَنْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا. فَقَالَتْ: الْوَيْلُ لِي. فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوْ فِي الصَّحْبِ
وَالْمُهْتَمَلِ. وَأَفْرُقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. حَتَّى جَلَبْتُ الْمُنْبَةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مُغْرَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَجِيلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةٍ مَجْلَنَةٍ وَأَنَّ الْحَزَمَ فِي الثَّنَائِي
حَدَادٌ وَكَلْبٌ

حَدَادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَابُّهُ الثَّوَابِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الْحَدَادُ عَامِلًا. فَإِذَا
رَفَعَ الْعَمَلُ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَاكُلُوا اسْتَيْقَظَ الْكَلْبُ. فَقَالَ لَهُ الْحَدَادُ:
يَا كَلْبُ السُّوءِ. مَا لِي أَرَى صَوْتَ الْمَطَارِقِ الَّتِي تُرْعِزُ الْأَرْضَ لَا بَنِيهِكَ.
وَحَسَّ الْمَضْغُ الْخَفِيَّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مُغْرَاهُ

أَنَّ الْعَيْبَ يَتَفَاعَسُ عَنِ الْوَعْظِ. وَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ أَنْصَبَ إِلَيْهِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ الْجِسْمَ . فَقَالَتِ الرِّجْلَانِ :
نَحْنُ يَقْوَتَانِ نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذِ مِنَ الطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ
الْمَشْيَ . فَضَلَا عَنْ أَنْ يُقَالَ شَيْئًا

مَغْرَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلُ

الْشَّمْسُ وَالرَّيْحُ

الْشَّمْسُ وَالرَّيْحُ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ
الرَّيْحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا . فَكَانَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ تَزَايَدَ هُبُوبِهَا . ضَمَّ
إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَالتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَلَمَّا أَرْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ .
خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفَيْهِ

مَغْرَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِلَّا تَضَاعُ وَكَمَاءَةُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَنَاقَلَانِ عَلَى فُتُورٍ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . أَمَّا الْبَغْلُوبُ
فَبَضِيَ مِنْ وَفَيْهِ إِلَى مَاوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَعَلَ
بُصْنُقُ يَحْنَأُ حَيْثُ وَبَصِيحُ وَيَفْخَرُ . فَبُصْرَ بِهِ بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَأَنْقَضَ إِلَيْهِ
وَأَخْطَطَهُ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْإِفْخَارَ بِالْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذُنَابٌ

ذُنَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَأَتَقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنْتُمْ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصْلُوا إِلَى الْجُلُودِ. فَمِنْ كَثَرَةِ مَا شَرِبُوا انْفَلَقُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرْبَعَهُمْ (۱)

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالَاعَلَيْهِ

الْوَرُ وَالْخَطَافُ

الْوَرُ وَالْخَطَافُ تَشَارَكَ فِي الْعَيْشَةِ. فَكَانَ مَرَعَاهَا كَلِمَةً فِي مُحْكٍ وَاحِدٍ. فَهَرَّبَهَا الصَّيَادُونَ يَوْمًا. فَمَا كَانَ مِنَ الْخَطَافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَيرَ. فَأَمَّا الْوَرُ فَأَذْرَكَ وَذُمِعَ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءٌ كَوْكَبٌ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَبَتْ ذَلِكَ بَرَأَ رَأْيُهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ. فَتَرَكَتْهُ. ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً. فَظَنَّتْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ. فَتَرَكَتْهَا

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهَا مَوْقِعَ الْآخَرِ

(۱) أقصر الذناب بصغير العقلا لأنه قرحا متزلزم ادعي كناية عنهم وقس على ذلك ما انتهى

مِنَ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ

حِكَايَةُ الْمَلِكِ جَلْبَعَادَ

وَأَبْنَاهُ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ مَلِكٌ فِي
بِلَادِ الْهِنْدِ. وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ حَسَنَ الصُّورَةِ. حَسَنَ الْخُلُقِ
كَرِيمَ الطَّبَائِعِ مُحْسِنًا لِلْفُقَرَاءِ مُجِبًّا لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ تَوَلَّيْهِ. وَكَانَ اسْمُهُ
جَلْبَعَادَ. وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَلِكًا. وَلِبِلَادِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ
وَأَحْمَسُونَ قَاضِيًا. وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ
عَسْكَرِهِ رَئِيسًا. وَكَانَ أَكْبَرُ وَزَرَائِهِ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شَمَاسٌ. وَكَانَ عَنْهُ
اَثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ وَالطَّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ. لَيِّبًا
فِي جَوَابِهِ. حَادِقًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. حَكِيمًا مُدِيرًا رَئِيسًا مَعَ صَغِيرِ سِنِهِ. عَارِفًا
بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً وَيَهْتَمُّ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ
بِالنِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ السِّيَاسَةِ. وَلَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَخَنَصِ
الْجُنَاحِ لِلرَّعِيَّةِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرِعَايَتِهِ
مُوَاصِلًا كَثِيرًا وَصَغِيرًا بِالْإِحْسَانِ. وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْعَطَايَا
وَالْأَمَانِ وَالطَّمَأْنِينَةِ. وَخَفِيفًا لِلْخَرَاجِ عَنْ كَامِلِ الرَّعِيَّةِ. وَكَانَ مُجِبًّا لِمُرْكَبِيهَا
وَصَغِيرًا. وَمُعَايِلًا لَهُم بِالْإِحْسَانِ الْيَوْمَ وَالسَّغْفَةِ عَلَيْهِمْ. وَأَتَى مُحْسِنٌ سِيرَتِهِ
يَتَنَبَّهُ بِهَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا.
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَاتَّفَقَ أَنَّ الْمَلِكَ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي

لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ مَشْغُولٌ الْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِ مَمْلُوكِيهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ
النُّومُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ بَصْبُ مَاءٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا
كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَتَتْهُ الْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَرِعَا وَاسْتَدْعَى
أَحَدَ عِلْمَانِهِ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَأَتِّنِي بِشَمَاسٍ الْوَرِيرِ عَاجِلًا :
فَذَهَبَ الْعِلْمَانُ إِلَى شَمَاسٍ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي سُنَةِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ
أَتَتْهُ مِنْ نَوْمِهِ مَرْغُوبًا . فَأَرَسَلَنِي إِلَيْكَ لِيَحْضَرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا : فَلَمَّا مَتَعَ
شَمَاسٌ كَلَامَ الْعِلْمَانِ قَامَ مِنْ وَفَيْهِ وَسَاعَيْنِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَرَأَاهُ قَاعًا عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنَّعَمِ . وَقَالَ :
لَا أَحْزَنَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . مَا الَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ طَلَبِكَ
إِلَيَّ بِسُرْعَةٍ : فَأَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَفْصُ عَلَيْهِ مَا رَأَى
قَائِلًا : إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَنَامًا أَهَالِي . وَهُوَ كَأَنِّي أَصْبُ مَاءً فِي أَصْلِ
شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَإِذَا
بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ .
فَفَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَنِي الرُّعْبُ فَأَتَيْتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَارْسَأْتُ
دَعْوَتَكَ لِكُنْزٍ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْيِيرِكَ لِلرُّؤْيَا . وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ اتِّسَاعِ عِلْمِكَ
وَعَزَازَةِ قَهْمِكَ

فَاطْرَقَ شَمَاسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ بِأَشَمَاسٍ
أَصْدُقَنِي الْخَبَرَ وَلَا تُخْفِ عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمَاسٌ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقْرَعَنِكَ . وَأَمْرُهُ الرُّؤْيَا يَأُولُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَت

اللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَكِنَّا ذَكَرْنَا بِكَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ بِكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلٍ
عُمُرِكَ. غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أَحِبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ
مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ: فَفَرَحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا. وَزَادَ سُورُهُ وَذَهَبَ
عَنْهُ قَرْعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ. وَقَالَ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ
هَذَا الْمَنَامِ. فَكَيْفَ لِي قَوْلُهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمَوْافِقُ لِكُلِّ تَأْوِيلِهِ.
لِأَجْلِ أَنْ يَكْمُلَ فَرَجِي. لِأَنِّي لَا أَتَّبِعِي بِذَلِكَ غَيْرَ رِضَى اللَّهِ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى:
فَلَمَّا رَأَى شَمْسًا مِنَ الْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَيَّبٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ. أَخْرَجَ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ
عَنْ نَفْسِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا الْمَلِكُ بِالْمُتَحَبِّينَ وَجَمِيعِ الْمُعْبَرِينَ لِلْأَحْلَامِ
الَّذِينَ فِي مَمْلَكَتِهِ. فَحَضَرُوا جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَنَامَ.
وَقَالَ لَهُمْ: أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصِحَّةِ تَفْسِيرِهِ: فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ
وَأَخَذَ إِذْنًا مِنَ الْمَلِكِ بِالْكَلَامِ. فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ قَالَ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ
وَزِيرَكَ شَمْسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ وَسَكَنَ
رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ التَّأْوِيلِ بِالْكَلِمَةِ. وَلَكِنْ إِذَا أَذِنْتَ لِي بِالْكَلَامِ
تَكَلَّمْتُ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: تَكَلَّمْ أَيُّهَا الْمَفْسِّرُ بِلَا أَحْشَاءٍ وَأَصْدُقْ فِي كَلَامِكَ:
فَقَالَ الْمَفْسِّرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْكَ غُلَامٌ يَكُونُ وَلَدًا لِمَلِكِكَ
عَنْكَ بَعْدَ طَوِيلِ حَيَاتِكَ. وَلَكِنَّهُ لَا يَسِيرُ فِي الرَّجْعَةِ بِسِيرِكَ بَلْ يُخَالِفُ
رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَ الْفَارَ مَعَ السَّنُورِ فَاسْتَعَاذَ
بِاللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ السَّنُورِ وَالْفَارِ

(حكاية السنور والفار)

فَقَالَ الْمَفْسِّرُ: أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ الْمَلِكِ. إِنَّ السَّنُورَ وَهُوَ الْفِطْرُ. سَرَحَ أَيْلَةً

مِنَ اللَّيَالِي إِلَى شَيْءٍ يَقْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ الْغَيْطَانِ . فَأَوْجَدَ شَيْئًا . وَضَعَفَ
مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ الَّذِي صَارَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَخَذَ يُخَالُ لِنَفْسِهِ يَشِيءُ
بِفُوزِهِ بِهِ . فَيَتَنَاوَهُ دَائِرًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . إِذْ رَأَى وَكَرَاهِي أَسْفَلَ شَجَرٍ
فَدَنَّا مِنْهُ وَصَارَ يُشْمِئِمُ وَيُدْنِدُنُ حَتَّى أَحَسَّ بِأَن دَاخِلَ الْوَكْرِ فَأَرَا . فَحَاوَلَهُ
وَهُمْ بِالْادْخُولِ عَلَيْهِ لَكِنِّي بِأَخْذِهِ . فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ الْفَارُ أَعْطَاهُ فَنَاهُ وَصَارَ
يَزْحَفُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لَكِنِّي بَسْدَ بَابِ الْوَكْرِ عَلَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ
السِّنُورُ بِصَوْتِ صَوْتَا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ : لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَخِي . وَأَنَا
مُتَحَيٌّ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِيَ رَحْمَةً بِأَن تُقَرِّبَنِي فِي وَكْرِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ . لِأَنِّي ضَعِيفُ
الْحَالِ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ . وَقَدْ تَوَعَّلْتُ
فِي هَذَا الْغَبَطِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَكَمْ مَرَّةً دَعَوْتُ بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لَكِنِّي أَسْتَرْجِعُ
وَهَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِجٌ مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ . وَأَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ مِنْ صَدَقَتِكَ
أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتَدْخُلَنِي عِنْدَكَ وَتَأْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ . لِأَنِّي غَرِيبٌ
وَمُسْكِينٌ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَوْىَ يَهْتَرِلْهُ غَرِيبًا مُسْكِينًا كَانَ مَأْوَاهُ الْجَنَّةُ
يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَن تُكْسِبَ أَجْرِي . وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ آيَتَ
عِنْدَكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرْوَحُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي : فَلَمَّا سَمِعَ الْفَارُ كَلَامَ
السِّنُورِ . قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِالطَّبَعِ وَمَعَاشُكَ
مِنْ لَحْيِي . وَأَخَافُ أَنْ تَغْدُرَ بِي . لِأَن ذَلِكَ مِنْ شَيْئَتِكَ . لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ .
وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي الْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْمُحْطَبِ وَلَيْسَ
بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْذِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ : عَدَاوَةُ الطَّبَعِ كُلُّهَا ضَعْفَ
صَاحِبِهَا كَانَتْ أَقْوَى : فَأَجَابَ السِّنُورُ قَائِلًا يَا أَحْمَدُ صَوْتٌ وَأَسْوَأُ حَالٌ :

إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ . وَأَسْتُ أَنْذِرُكَ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ الصَّحْحَ
 عَمَّا مَضَى مِنَ الْعِدَاةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ فِيلَ مَنْ صَحَّحَ عَنْ
 مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ صَحَّحَ خَالِفُهُ عَنْهُ . وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَدُوًّا لَكَ وَهَذَا أَنَا
 الْيَوْمَ طَالِبُ صَدَاقَتِكَ . وَقَدْ فِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّكَ صَدِيقًا
 لَكَ فَافْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا . وَأَنَا يَا أَخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنِّي لَا أَضُرُّكَ
 أَبَدًا . وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ فَتَقِ يَا اللَّهَ وَأَفْعَلْ خَيْرًا . وَأَقْبَلَ
 عَهْدِي وَمِيثَاقِي : فَقَالَ الْفَارُّ : كَيْفَ أَقْبَلَ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ الْعِدَاةُ
 بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدِرَ بِي . وَلَوْ كَانَتْ الْعِدَاةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ
 الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الدَّمِ لَمَا نَ عَلَى ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا عِدَاةٌ طَبِيعَةٌ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ .
 وَقَدْ فِيلَ مَنْ أَسْتَأْمَنَ عَدُوٌّ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَهَنَ أَذْخَلَ يَدَهُ فِي قَمَرِ الْأَفْعَى :
 فَقَالَ السَّنُورُ وَهُوَ مُهْتَلِي غَيْظًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي . وَهَذَا أَنَا
 فِي النَّزْعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى لِي نَفْسِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى
 نَجَاتِي مَا أَنَا فِيهِ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَحَصَلَ لِلْفَارِّ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى . وَتَزَلَّتْ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ الْمَعُونَةَ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا
 الْأَمْرِ وَأَنْقُذْ هَذَا السَّنُورَ مِنْ هَذَا الْمَلَاكِ لِأَكْسِبَ أَجْرًا : فَمِنْ ذَلِكَ خَرَجَ
 الْفَارُّ إِلَى السَّنُورِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِ سَجَا . فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ
 وَاسْتَرَاجَ وَتَعَانَى قَلِيلًا . فَصَارَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَعْفِهِ وَدَهَابِ قُوَّتِهِ وَقِلَّةِ
 أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ الْفَارُّ يَتَرَقَّى بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَاطِرِهِ وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْعَى
 حَوْلَهُ . فَأَمَّا السَّنُورُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى الْوَكْرِ حَتَّى مَلَكَ الْخُرْجَ خَوْفًا أَنْ

يُخْرِجُ مِنْهُ الْفَارَ. فَلَمَّا ارَادَ الْخُرُوجَ قَرُبَ مِنَ السِّنُورِ عَلَى عَادَتِهِ. فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْهُ قَبِضَ عَلَيْهِ وَآخَذَهُ بَيْنَ أَظْفَارِهِ وَصَارَ يَعْضُهُ وَيَنْتِنُهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فَمِهِ وَيَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ وَيَرْمِيهِ وَيَجْرِي وَرَاءَهُ وَيَنْهَشُهُ وَيَعْدِبُهُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَعَاثَ الْفَارَ وَطَلَبَ الْخَلَّاصَ مِنَ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَايِبُ السِّنُورَ وَيَقُولُ: أَيُّنَ الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ. وَأَيُّنَ أَقْسَامِكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا. أَهَذَا جَزَائِي مِنْكَ. وَقَدْ آذَيْتَنِي وَكَرِهْتَ وَأَسْتَأْمِتُكَ عَلَى نَفْسِي. وَلَكِنْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: مَنْ أَخَذَ عَهْدًا مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَنْتَبِئُ لِنَفْسِهِ نَجَاةً. وَمَنْ قَالَ: مَنْ سَلِمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِنَفْسِهِ أَهْلَاكَ. وَلَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى خَالِي فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ السِّنُورِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ وَيَنْتَرِسَهُ. إِذَا بِرَجُلٍ صَيَادٍ مَعَ كِلَابٍ جَارِحَةٍ مُعَوَّدَةٍ عَلَى الصَّيْدِ. فَهَرَمَ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ الْوَكْرِ فَسَمِعَ فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ نَعْلًا بِنَتْرِسٍ شَيْئًا. فَأَنْدَفَعَ الْكَلْبُ مُتَحَدِّرًا لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ السِّنُورَ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَقَعَ السِّنُورُ بَيْنَ يَدَيِ الْكَلْبِ انْتَهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ الْفَارَ حَيًّا لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ. وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ الْكَلْبُ أَجْزَاحُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيْتًا. وَصَدَقَ فِي حَقِّهَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَنْ رَحِمَ رَحِمَ آجِلًا. وَمَنْ ظَلَمَ ظَلِمَ آجِلًا

هَذَا مَا جَرَى لَهَا أَمَّا الْمَلِكُ. فَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَ مَنْ أَسْتَأْمَنَهُ. وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ بِمَحْضٍ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِلْسِّنُورِ. لِأَنَّهُ كَمَا يَدِينُ النَّاسُ الْفَارَ وَيَدَانُ وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى الْخَيْرِ يَنْتَلِ الثَّوَابَ. وَلَكِنْ لَا تَحْزَنُ أَمَّا الْمَلِكُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْكَ ذَلِكَ. لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ رُبَّمَا يَعُودُ إِلَى

حُسْنِ سِيرَتِكَ. وَإِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ شَمْسٌ أَحَبُّ أَنْ لَا يَكُنَّ
عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَعُ إِلَيْكَ. وَذَلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ النَّاسِ
خَوْفًا أَوْ سَعْمًا عَلَيْهِمْ وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا: فَأَذَعَنَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ
بِأَكْرَامٍ جَزِيلٍ. ثُمَّ ضَرَفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ.
وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِهِ جَمِيعُ الْأُمُورِ. فَلَمْ يَمْضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ
إِلَّا أَتَتْهُ الْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ أَمَلِهِ فَقَالَ: صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ: ثُمَّ
إِنَّهُ دَعَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ وَلَدَّ سَلَةً لِيُحْضِرَ شَهَاسًا. فَلَمَّا حَدَّثَهُ الْمَلِكُ بِمَا صَارَ
مِنْ حَمَلِ زَوْجَتِهِ وَهُوَ فَرَحَانُ قَائِلًا: قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَأَتَّصَلَ رَجَائِي
فَلَعَلَّ ذَلِكَ الْحَمْلَ يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِي. فَمَا تَقُولُ
بِأَشْهَاسٍ فِي ذَلِكَ: فَسَكَتَ شَمْسٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا لِي
أَرَاكَ لَا تَقْرَحُ لِرَجَائِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا. يَا نَرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ
بِأَشْهَاسٍ: فَجَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ شَمْسٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ
أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ. مَا الَّذِي بَنَعَ الْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ النَّارُ تُخْرِجُ
مِنْهَا. وَمَا لَكَ شَارِبَ الْخَمْرِ الصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا الشَّرْقُ. وَمَا فَائِدَةُ
النَّاهِلِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ. وَلَمَّا أَتَا عَبْدُ اللَّهِ وَلَكَ
أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَلَكِنْ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي
شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: الْمُسَافِرُ حَتَّى يَرِجَعَ مِنْ سَفَرِهِ. وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ
حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوُّهُ. وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا. فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّ
الْمَتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَنْمِثْ نَاسِكِ الْمَذْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنُ: فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ. إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ
الْمَدُنِ. وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَابَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذَلِكَ الشَّرِيفِ. وَهِيَ:
ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ. وَكَانَ السَّمَنُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا.
وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمَعُ الَّذِي يَحْيِي إِلَيْهِ فِي جَرَفٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَّقَهَا فَوْقَ
رَأْسِهِ خَوْفًا وَاحْتِرَاسًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ
وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمَنِ وَغَلَاثِهِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
يَنْبَغِي أَنْ أُبِيعَ هَذَا السَّمَنُ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعُهُ. وَأَشْتَرِي بِهِ شَيْئًا نَجْعَةً وَأُشَارِكَ
عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْفَلَاحِينَ. فَإِنَّمَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَثَانِي عَامٍ
تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا. وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْغَنَمُ تَنَوِّدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا
كَثِيرًا. وَأَقْسِمُ حَصْنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأُبِيعَ مَا شِئْتُ. وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفَلَانِيَّةَ
وَأُنْثَى فِيهَا غَيْطًا وَأُنْثَى فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا. وَأَشْتَرِي بِهِ
عَيْدًا وَجَوَارِي وَأَنْزُوجُ بِنْتَ التَّاجِرِ الْفَلَانِيٍّ وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَارَ مِثْلُهُ
قَطُّ. وَأَذْنُجُ الذَّبَايِجَ وَأَعْمَلُ الْأَطْعِمَةَ الْفَاحِشَةَ وَالْحُلُوبَاتِ الْمَلْبَسَاتِ
وَعَبِيدَهَا. وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَلَاعِبِ وَلَذَبَابِ الْفُنُونِ وَآلَاتِ السَّمَاعِ. وَأَجْهِزُ
الْأَزْهَارَ وَالْمَشْهُومَاتِ وَأَصْنَفَ الرِّبَاحِينَ وَأَدْعُو الْأَغْنِيَاءَ وَالْفَرَاقَةَ
وَالْعُلَمَاءَ وَالرُّؤَسَاةَ وَلَذَبَابِ الدَّوَلَةِ. وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ.
وَأَجْهِزُ أَنْوَاعَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ. وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يَنَادِي بِهِ. مَنْ يَطْلُبُ
شَيْئًا يَنَالُهُ. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا. فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ

لَهُ الْوَلَايَةُ وَأَرْيَهُ فِي الدَّلَالِ. وَأَعْلَمَهُ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْحِسَابَ وَأَشْهَرُ
 أَمْرَهُ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَخْجَرِيهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَجَالِسِ. وَأَمُرُّهُ بِالْمَعْرُوفِ فَلَا
 يُخَالِفُنِي وَأَنْهَاهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ. وَلَوْصِيهِ بِالْتَّقْوَى وَفِعْلِ الْخَيْرِ.
 وَأُعْطِيهِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ الطَّاعَةَ زِدْتُهُ عَطَايَا
 صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ أَنْزِلْ عَلَيْهِ مِنْهُ الْعَصَا وَرَفْعَهَا لِيَضْرِبَ
 بِهَا وَلَكْهُ قَاصِبَاتُ جَزَعِ السَّمَنِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ فَكَسَرْنَهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَزَلَّتْ
 بِشِقَاقِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ السَّمَنِ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى نِيَابِهِ وَخَفِيَتْهُ وَصَارَ عَيْنُهُ فَلَا جُلَّ
 ذَلِكَ أَهْمًا لِلْمَلِكِ. لَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَبْصُرَ

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنِعْمَ الْوَزِيرُ أَنْتَ. لِكُونِكَ
 بِالْصِّدْقِ نَطَقْتُ. وَبِالْخَيْرِ أَشْرْتُ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُبَّتُكَ عِنْدِي عَلَى مَا
 تُحِبُّ وَلَمْ تَزَلْ مَقْبُولًا فَجَعَدَ شَمْسٌ لِلَّهِ وَاللَّيْلُ لِلَّهِ وَدَعَا لَهُ يَدَوَامَ النِّعَمِ وَقَالَ
 لَهُ: أَكَادِمُ اللَّهِ أَيْامَكَ وَأَعْلَى شَأْنِكَ. وَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي
 السِّرِّ وَلَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرْحٌ إِلَّا
 بِفَرْحِكَ وَلَا يَبْغِيْنِي أَنْ أَيْتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَنِي
 كُلَّ خَيْرٍ بِأَكْرَامِكَ لِيَأَيَّ. فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْزِيَكَ بِمَا لَا تُكْتَبِيهِ.
 وَيُحْسِنَ ثَوَابَكَ عِنْدَ لِقَائِهِ: فَأَبْتَهَجَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَامَ شَمْسٌ
 وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَضَعَتْ زَوْجَةُ الْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا. فَهَضَّ الْمُبَشِّرُونَ إِلَى
 الْمَلِكِ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ فَفَرَحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ اللَّهُ شُكْرًا جَزِيلًا
 وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي وَلَكُلَا بَعْدَ الْبَلَاءِ وَهُوَ الشَّفُوقُ الرَّؤُوفُ عَلَى

عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِالتَّحْبِيرِ وَيَدْعُوهُمْ
إِلَى مَنَزِلِهِ. فَخَصَّرَ لَهُ الْأُمَرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَلَزَبَابُ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ
تَحْتَ أَمْرِهِ. هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلِيِّهِ. فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ الْبَشَائِرُ وَالْأَفْرَاجُ فِي سَائِرِ
الْمَمْلَكَةِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى الْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ
الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبَاءَ وَالْحُكَمَاءَ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ. وَوَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْوُزَرَاءِ السَّبْعَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ رَأَسَهُمْ
شِمَاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا
هُوَ بِصَدْدِهِ. فَأَبْدَأَ رَأْسُهُمُ الْوَزِيرُ شِمَاسٌ. وَاسْتَأْذَنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ.
وَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُنْعِمَ عَلَى
عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ. وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرَأْسِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا مِلْكًا
الَّذِي أَحْيَى بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ. وَرَزَقَنَا مِنْ
سَلَامَتِهِ بِرَحْمَةِ الْعَيْشِ وَالطَّمَانِينَةِ وَالْعَدْلِ. فَأَيُّ مَلِكٍ يَصْنَعُ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ
مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بِنَا مِنَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَادِّاءِ حُقُوقِنَا وَالْإِنصَافِ بَعْضِنَا مِنْ
بَعْضٍ وَقِلَّةِ الْغَنَلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ
مِلْكُهُمْ مُنْعَهًا لِأُمُورِهِمْ. وَحَافِظًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ. لِأَنَّ الْعَدُوَّ غَايَةُ قُصْدِهِ
أَنْ يَهْرَعْدُوهُ وَأَنْ يَمْلِكَهُ فِي يَدِهِ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْدُمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى
الْمُلُوكِ خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنَزِلَةِ الْعَبِيدِ. لِأَجْلِ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْهُمْ

الْأَعْدَاءُ وَمَا نَحْنُ قَلَمٌ بِطَائِلَادِنَا أَعْدَاكَ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى
وَالسَّعَادَةِ الْعَظْمَى الَّتِي لَمْ يَقْدِرِ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَضْعِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ ذَلِكَ .
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلُ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَحْنُ نَحْتِ
كَفِّكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ تَوَابِكَ وَأَدَامَ بَقَاءَكَ . لِأَنَّنَا كُنَّا
قَبْلَ ذَلِكَ نَجِدُ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَهْنِ عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُنْفِكَ
لَنَا وَيُعْطِيكَ وَلَكَ صَاحِبًا نَقْرُ بِهِ عَيْنَاكَ وَاللَّهُ مُجَابَهُ وَتَعَالَى قَدْ نَقَبَلْنَا مِنَّا
وَأَسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ مِثْلَهَا أَنِّي لِبَعْضِ السَّمَكِ فِي
غَدِيرِ الْمَاءِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شِمَاسٌ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ .
وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ . فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَأْوُهُ . وَصَارَ
يَنْضُمُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسَعْنَهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ .
وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ نَحْنَالُ وَمَنْ نَسْتَشِيرُ فِي نَجَاتِنَا :
فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ عَقْلًا وَسِنًا وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي
خَلَاصِنَا إِلَّا الطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ . وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرْطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا
فَهَلْ مِنْ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَوَائِظِ
الْكَلَامِ : فَاسْتَحْسَنَ رَأْيُهَا وَجِئْتُ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرْطَانِ . فَوَجَدَنَّهُ رَاضِيًا
فِي مَوْضِعِهِ . وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ مِمَّا هُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ :
يَا سَيِّدَنَا . أَمَا بِعَيْنِكَ أَمْرُنَا . وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَّئِيسُنَا : فَأَجَابَهُنَّ السَّرْطَانُ
قَائِلًا : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ . مَا الَّذِي يَكُنْ . وَمَا نَزَحْنُ : فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ فِصْنَهُنَّ

وَمَا دَاهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقَصِ الْمَاءِ وَأَنْتَ مَتَى تَنْشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْمَلَاكُ ثُمَّ
قُلْنَ لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتِ رَأَيْكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ النِّجَاحُ. لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا
وَأَعْرَفُنَا: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ رَأْسُهُ مِلًّا ثُمَّ قَالَ: لَا شَيْءَ أَنْ عِنْدَكُمْ نَقَصَ
عَقْلُ لِيَأْسِكُنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلَائِقِهِ جَمِيعًا. أَلَمْ تَعْلَمَنَّ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ
يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْرًا مَحْدُودًا وَرِزْقًا مَقْسُومًا
يُقَدِّرُهُ الْإِلَهِيَّةُ. فَكَيْفَ تَحْمِلُ شَيْءَ هُوَ فِي الْغَيْبِ مَسْطُورٌ. وَالرَّأْيُ
عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَيَنْبَغِي أَنْ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَّا يُضِلَّ سِرَّهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ. وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُجَلِّصَنَا
وَيَقْدِرَنَا مِنَ الشَّدَائِدِ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ رَجَاءً مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ. وَلَا
يَرُدُّ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَضْلَحْنَا أَحْوَالَنَا اسْتَفْهَمْتُ أُمُورَنَا وَحَصَلَ
لَنَا كُلُّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ. وَإِذَا جَاءَ الشُّنَاءُ وَغَمَرَتْ أَرْضَنَا بِدُعَاءِ صَاحِبِنَا فَلَا يَهْدِمُ
الْمُحِيرَ الَّذِي بَنَاهُ. فَالْأَرَى أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِنَا. فَإِنْ كَانَ
بِحُصْلِ لَنَا مَوْتٌ عَلَى الْعَادَةِ اسْتَرْحْنَا. وَإِنْ كَانَ بِحُصْلِ لَنَا مَا يُوجِبُ الْهَرَبَ
هَرَبْنَا وَرَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ: فَأَجَابَ السَّمَكُ جَمِيعُهُ مِنْ
قَمَرٍ وَاحِدٍ: صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا. جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا: وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَتَاهُنَّ اللَّهُ بِهَطَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى
مَلَاحَمَلُ الْغُدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا

وَهَكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا يَا نَبِيَّينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ. وَحَيْثُ مِنْ
اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ. فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا

مُبَارَكًا. وَلَنْ يُفْرِيه عَيْنُكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً. وَيَرْزُقْنَا مِنْهُ مَا رَزَقْنَاكَ مِنْكَ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُجِيبُ مَنْ قَصَدَهُ. وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ. فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ. فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ: إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمَّى مَلِكًا إِلَّا إِذَا أُعْطِيَ وَعَدْلٌ وَحَكْمٌ وَكَرَمٌ وَأَحْسَنَ سِيرَةٍ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَقَّنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْضُوفًا بِعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْ فُقَرَاءَتِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَامِهِمْ وَأَذْنَانِهِمْ وَأَعْطَا أَعْيُنَهُمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ لَمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُسْتَجِيبِينَ لِأَمْرِهِ. لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي يَهْدِيهِ الصِّفَةُ مُحْبُوبٌ عِنْدَ الرِّعْيَةِ مُكْتَسِبٌ مِنَ الدُّنْيَا عِلَالَتُهَا وَمِنْ الْآخِرَةِ شَرَفُهَا وَرِضَى خَالِقِهَا. وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ. كَمَا قِيلَ: خَيْرُ الْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الرِّعْيَةِ عَادِلًا. وَحَكِيمًا مَاهِرًا. وَعَالِمًا خَيْرًا عَامِلًا بِعَلِيهِ. وَنَحْنُ الْآنَ مُنْتَعِبُونَ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ. وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَفْنَا فِي أَلْيَسٍ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ أَسْمُهُ لَمْ يُجِيبْ رَجَاءَكَ وَقِيلَ دُعَاؤُكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ. فَنَمَرِ الرَّجَاءَ رَجَاؤَكَ. وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَبَّةِ: كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَبَّةِ

(حكاية الغراب والحبة)

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ

وَزَوَّجَهُ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيجِهَا. وَكَانَ زَمَنَ الْقَيْظِ.
فَخَرَجَتْ حَبَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا. وَقَصَدَتْ نِلْكَ الشَّجَرِ فَمَعَلَقَتْ بِفُرُوعِهَا إِلَى أَنْ
صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ الْغُرَابِ وَرَبَضَتْ فِيهِ. وَمَكَثَتْ مَدَّةَ أَيَّامٍ الصَّبْفِ.
وَصَارَ الْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيهِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ
أَيَّامُ الْحَرِّ كَهَبَتِ الْحَبَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا. فَقَالَ الْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ: نَشْكُرُ اللَّهَ
تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حَرِمْنَا مِنَ الزَّادِ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ رَجَاءَنَا. فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا. وَلَيْسَ لَنَا اتِّكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعَشْنَا إِلَى الْعَامِ
الْقَابِلِ عَوَّضَ اللَّهِ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا: فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيجِهَا. خَرَجَتِ الْحَبَّةُ
مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتْ الشَّجَرَةَ. فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا. وَهِيَ
قَاصِدَةٌ عُشَّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ. وَإِذَا يَجِدُوهَا قَدْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَتْهَا
فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَبَّةُ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًا عَلَيْهَا.
وَطَلَعَ عَلَيْهَا النَّمْلُ فَالْكَلَهَا. وَصَارَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ.
وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهَا وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ. وَنَحْنُ
أَيُّهَا الْمَلِكُ. يَحِبُّ عَلَيْنَا شُكْرَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِهَذَا الْمَوْلُودِ
الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ. بَعْدَ الْبَاسِ وَقَطَعَ الرَّجَاءَ. أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَعَافِيَةَ
أَمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّالِثُ وَقَالَ: أَبَشِّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِاتِّخَاذِ الْعَاجِلِ
وَالثَّوَابِ الْآجِلِ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. وَاللَّهُ
تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْحَبَّةَ. وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ. فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ

أَتُحْمَدُ مِنَّا وَمِنْكَ لَكِي يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا يَكْ . وَأَعْلَمُ أَهْمَا الْمَلِكُ . أَنَّ
الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَإِنَّهُ هُوَ الْبَعْطِي . وَإِنْ كُلُّ
خَيْرٍ عِنْدَ تَخْصُصٍ إِلَيْهِ يَنْتَبِي . قَسَمَ النِّعَمَ عَلَى عِبِيدِهِ . كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ
مَوَاهِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ الْقُوَى . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا .
وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ الذِّبَاءُ قَالَ : أَنَا
الضَّارُّ النَّافِعُ . أَشْفِي وَأَمْرُضُ . وَأُغْنِي وَأُفْقِرُ . وَأُبْسِئُ وَأُحْيِي . وَيَبْدِي كُلُّ
شَيْءٍ وَالْيَ الْمَصِيرُ . فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَهْمَا الْمَلِكُ مِنْ
السُّعْدَاءِ الْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنْ أَسْعَدَ الْأَبْرَارُ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ يَمِينَ خَيْرِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَيَنْقُصُ بِهَا قَسَمُ اللَّهِ لَهُ وَبَشْكْرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ . وَمَنْ تَعَدَّى
وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ وَعَلَيْهِ بُشْيُهُ حِمَارُ الْوَحْشِ وَالنُّعْلَبُ : قَالَ الْمَلِكُ :
وَمَا حَدِيثُهَا

(حكاية حمار الوحش والنعلب)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَهْمَا الْمَلِكُ . أَنَّ نُّعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ
وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَمِثْلًا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ
انْقَضَى . وَقَصَدَ الرُّجُوعَ . فَاجْتَمَعَ عَلَى نُّعْلَبٍ رَأَاهُ مَاشِيًا . وَصَارَ كُلُّ مِنْهَا
يُحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَةً مَعَ مَا افْتَرَسَهُ . فَقَالَ أَحَدُهَا : إِنِّي يَا لَأَمْسٍ وَقَعْتُ
فِي حِمَارٍ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ
وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَهَدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَأَكَلْتُهُ
وَشَبِعْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَكَلُهُ
وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبَعَانُ إِلَى الْآنَ : فَلَمَّا سَمِعَ النُّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شِعْوِهِ .

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ جَارِ الْوَحْشِ: فَتَرَكَ الْأَكْلَ
أَبَاطًا حَتَّى أَنْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصَّرَ سَعْيُهُ وَاجْتَهَادُهُ وَرَبَضَ فِي
وَطْنِهِ. فَيَتِمَّا هُوَ فِي وَطْنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ
قَاصِدَيْنِ الصَّيْدِ فَوْقَ لَهَا جَارُ وَحْشٍ. فَأَفْلَمَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي أَثَرِ طَرِكَا.
ثُمَّ لَمَّا بَعْضُهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشْعَبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَفَتَلَهُ
فُيَالَةً وَكَرَّ الثَّعْلَبِ الْمَذْكُورِ. فَأَخْرَجَهُ الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا. فَأَخْرَجَا
السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الْعُودُ. وَتَوَقَّعَ السَّهْمُ مُشْعَبًا فِي
بَطْنِ جَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ السَّاعَةَ خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ وَطْنِهِ وَهُوَ يَنْتَفِجُّ مِنْ
الضَّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى جِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا. فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا
حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ. فَقَالَ: اأَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَسَّرَ لِي شَهْوَتِي
مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أَمَلُ أَنِّي أُصِيبُ جَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرُهُ. وَلَعَلَّ
اللَّهُ أَوْفَعَ هَذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي: ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ
رَأْسَهُ. وَصَارَ يَجُولُ بِنَفْسِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَفَعَهُ بِنَفْسِهِ
وَأَبْطَلَعَهُ. فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْفِهِ أَشْتَبَكَ شُعْبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ رَقَبَتِهِ وَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْفِهِ وَأَيَّتَنَ بِالْهَلَاكِ.
وَقَالَ: حَقًّا لَا يَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. لِأَنِّي
لَوْ قَسَمْتُ بِهَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَمَا صِرْتُ إِلَى الْهَلَاكِ

قُلْ هَذَا أَهْمُ الْمَلِكِ. يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرَ
نِعْمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْطَعِرَ جَاهَهُ مِنْ مَوْلَاهُ. وَهَآ أَنتَ أَهْمُ الْمَلِكِ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ
وَأَسَدُ أَعْمُرُوكَ رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَكَ بَعْدَ الْيَاسِ. فَتَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ

عُمرَ أطولَ بلا وسعادةَ دائمةٍ . وَبِحَقْلِهِ خَلَقْنَا مَبَارَكًا مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ
بَعْدَ طَوْلِ عُمُرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهَا عَالِيًا بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ
وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ النَّبِيِّ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ مَنْ يَحِبُّ
إِكْرَامَهُ . وَتَوْفِيرَ مَنْ يَحِبُّ تَوْفِيرَهُ . وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ .
وَرِعَايَةَ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُرُوءِ سِينَ . وَالتَّخْفِيفَ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ
دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءَ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . فَإِنْ
ذَلِكَ مَا يُعِدُّ مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَتُضَرِّيهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَتُلَوِّغُ
مَأْمُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيرِهِ لَشُكْرِهِ وَالنُّورِ بِعِنَايَتِهِ . وَابْنَ
الْمَلِكِ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ
مَمْلَكَتِهِ . لِيَكُونَ جَوْرُهُ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ
الْمَلِكِ السَّامِعِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

(حكاية ابن الملك السامع)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي
حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضْطِعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ
فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عَمَلُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَخْوَاسٍ مَالِهِ
وَيُتَّقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ .
فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَاحِجًا عَابِدًا لِلَّهِ تَعَالَى
مِنْ صَغِيرٍ وَرَفُضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي
الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمَدُنَ . فَبِئْسَ الْيَوْمَ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْحَافِظِينَ أَخَذُوهُ وَقَتُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ
أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَنِيْقٌ. فَتَزَعُّوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكَوْا لَهُ الْعَنِيْقَ بَعْدَ
الْإِهَانَةِ وَالْخُفْرِ. فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ: وَتَحَكُّمُ أَهْلِ الظَّالِمُونَ. أَنَا
رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَاحِجٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ. وَإِذَا لَمْ تَعْطُوهُ لِي
ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَّوْكُمْ إِلَيْهِ: فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ: إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ
الْمَلِكِ. فَمَا بَدَأَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ: فَصَارَ السَّاحِجُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى
بَلَاطِ الْمَلِكِ وَلَدَّ الدُّخُولَ فَمَنَعَهُ انْحِجَابٌ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا لِي إِلَّا
أَنْيَ أَرْضُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ
الْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَلِكِ. إِذْ سَمِعَ أَحَدَ الْأَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ. فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ
قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَهَ الْبَابِ. فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ
السَّاحِجُ وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ. وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ
حَالَهُ. وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ رَفِضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا رِضَا اللَّهِ
تَعَالَى فَصَارَ سَاحِجًا فِي الْأَرْضِ. وَكُلُّ مَنْ وَقَدَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
بِمَا أَمَكَّهُ. وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ. ثُمَّ
قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ
بِغَيْرِي مِنَ السَّاحِجِينَ. فَعَارَضَنِي أَتْبَاعُكَ وَتَزَعُّوا أَحَدًا أَمْرًا بِي وَأَلْهَفُونِي
ضَرْبًا. فَأَنْظَرْتُ فِي شَأْنِي وَخَذْتُ بِيَدِي وَخَلَصْتُ لِي تَوْبِي. وَأَنَا لَا أَفِيْمُ بِهِذِهِ
الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً: فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا: مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ
بِدُخُولِكَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ. وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مِثْلُكَ: فَقَالَ: بَعْدَ أَنْ
أَخَذَ تَوْبِي أَفْعَلُ بِي مِثْلَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّامِجِ هَذَا الْكَلَامَ حَصَلَ عِنْدَهُ تَغْيِيرُ مِزَاجِهِ
فَقَالَ: أَيُّهَا الْجَاهِلُ تَزْعَمَانَا عَنْكَ قَوْلُكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ
هَذَا الصَّبَاحِ عِنْدِي. فَأَنَا أَنْزَعُ نَفْسِكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمَرَ بِجَنْبِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ
السَّجَنَ جَعَلَ يَنْدُمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْجَوَابِ وَعَنَّفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ
ذَلِكَ وَتَفُوزَ بِرُوحِهِ. فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَلَّى صَلَاةَ
مُطَوَّلَةٍ. وَقَالَ: يَا اللَّهُ. إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ. تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أَنْطَوَى
عَلَيْهِ أَمْرِي مَعَ هَذَا الْمَلِكِ الْجَائِرِ. وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ أَسْأَلُكَ مِنْ قَبْضِ
رَحْمَتِكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُجَلِّ بِهِ نِعْمَتَكَ لِأَنَّكَ لَا
تَعْمَلُ عَنْ ظُلْمٍ كُلِّ ظَالِمٍ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَلَمَنِي فَأَحْلِلْ نِعْمَتَكَ عَلَيْهِ
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ
مَلْهُوفٍ. يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِظَمَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ: فَلَمَّا سَمِعَ السَّجَانُ دُعَاءَ
هَذَا الْيَسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَرْغُوبًا. فَيَسْمَعُ هُوَ كَذَلِكَ
وَإِذَا بَيَّارٌ أَتَقَدَّمَ فِي الْفَصْرِ الَّذِي فِيهِ الْمَلِكُ. فَأَخْرَجَتْ جَمِيعُ مَا فِيهِ حَتَّى
بَابَ السَّجَنِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَى السَّجَانِ وَالسَّامِجِ فَانْطَلَقَ السَّامِجُ وَسَارَ هُوَ
وَالسَّجَانُ وَلَمْ يَزَالَا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. وَأَمَّا مَدِينَةُ
الْمَلِكِ الظَّالِمِ فَأَتَتْهَا أَخْرَجَتْ عَنْ آخِرِهَا بِسَبَبِ جَوْرِ مَلِكِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا

هذه طلبة مظلوم لم يستتر نور تعليم المسح الغافر لاعتدائه. فمن امن بهذه الحكمة الالهية
والمجودة الالهية هذا حشره تعالى محققا الموت غافرا لمن اساء اليه مستغفرا بموجب كلام الرب
القائل: احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردهم ويظلمكم لكيما تكونوا
بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمس على الاخيار والاشرار ويطر على الصديقين
والظالمين (متى ٤٤: ٥ و ٤٥)

الْمَلِكُ السَّعِيدُ. فَأُنْسِي وَنُصِّحْ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بِعَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ
كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدِكَ بَرِثُ مُلْكِكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ
مِنْ بَعْدِكَ. وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكُرْمِهِ عَلَيْنَا وَلَزَالَ عَنَّا الْغَمُّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ
بِوُجُودِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ. فَسَأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ خَلِيفَةً صَالِحَةً
وَبَرَزَقَةً الْعِزِّ وَالسَّعَادَةِ الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ مَا بَخَّ الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ
وَالْمَوَاهِبِ السَّيِّئَةَ. وَبَعْدُ فَإِنَّا نَحْفَتُنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْعِمُ عَلَيْنَا بِشُكْرٍ وَبِحَافِظٍ
عَلَى دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الْمَنَاقِبِ الْجَمِيلَةِ
وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي اللَّهُ تَعَالَى. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَغْلَى
اللَّهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيْامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هَذَا
الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْبَاسِ. وَصَارَ لَنَا بِذَلِكَ الْفَرَحُ الدَّائِمُ وَالسُّرُورُ الَّذِي
لَا يَنْقَطِعُ. لِأَنَّنَا قَبْلَ ذَلِكَ كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدِكَ
لَكَ. وَفِي أَفْكَارٍ فِيمَا أَنْتَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ
يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ
بَعْدِكَ. فَيَخْلُفَ رَأْيُنَا وَيَقَعَ بَيْنَنَا الشِّقَاقُ وَيَصِيرَ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ؛
فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

(حكاية الغراب)

فَاجَابَهُ الْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ
الْبَرَارِيِّ وَادٍ مُتَسِعٍ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَشَجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ تُسَبِّحُ اللَّهَ

الْوَاحِدَ الْفَهَّارَ. خَالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الطُّيُورِ غُرَبَانٌ. وَكَانَتْ
 فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ الْمَقْدَمُ عَلَيْهِنَّ وَالْحَاكِمُ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رُوِيَ بَيْنَ
 شَفُوقٍ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطَمَآنِينَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا
 بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَأَتَفَقَ أَنْ مَقْدَمُهُنَّ تُوَفِّيَ
 وَجَاهَهُ الْأَمْرُ الْأَعْنُومُ عَلَى سَائِرِ الْأَخْلَاقِ فَخَرَّتْ عَلَيْهِ حَزَنًا شَدِيدًا. وَمِنْ
 زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ يَمِثُّهُ بِقَوْمٍ مَقَامَهُ. فَاجْتَمَعْنَ جَمِيعًا
 وَأَتَمَّرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا. فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ
 اخْتَرْنَ غُرَابًا. وَقُلْنَ إِنَّ هَذَا بَصِخْرٌ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَأُخْرُ اخْتَلَفْنَ فِيهِ.
 وَلَمْ يَرِدْهُ فَوْقَ بَيْنَهُنَّ الشِّقَاقُ وَالْجِدَالُ وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ
 حَصَلَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ يَنْتَمِنَ نِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَلَا يَبْكَرُ أَحَدٌ
 إِلَى السُّرُوحِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ غَدًا. بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى الصَّبَاحِ. وَعِنْدَ
 طُلُوعِ الْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلُّ طَيْرٍ يَسْبِقُ
 فِي الطَّيْرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا
 لِلْمَلِكِ. فَجَعَلَهُ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَنُورِيهِ أَمْرًا. فَرَضِينَ كُلَّهُنَّ بِذَلِكَ وَعَاهَدْنَ
 بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَاتَّفَقْنَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ. فَيَسْنَمَا فِي عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذَا طَلَعَ
 بَازٌ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا الْخَيْرِ. بَحْنُ اخْتِرْنَاكَ وَالْبَا عَلَيْنَا لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا. فَرَضِي
 الْبَازُ بِمَا قُلْتُهُ. وَقَالَ لِيَهُنَّ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَبْكَوْنُ لَكُنَّ فِي خَيْرٍ عَظِيمٍ.
 ثُمَّ لَمْ يَنْهَنْ بَعْدَ مَا وَلِيَتْهُ عَلَيْهِنَّ. صَارَ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا سَرَحَ وَسَرَحَ الْغُرَبَانُ
 يَسْتَفِرِدُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاغَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَتْرُكُ الْبَاقِي. وَلَمْ
 يَزَلْ يَفْعَلُ مَعَهُنَّ هَكَذَا حَتَّى قَطِنَتْ بِهِ فَرَأَتْ غَالِيَهَا فَذُ هَلَكَتْ فَأَيَقَنْتْ

يَا مَلَاكِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا . وَمَا
 أَنْتُمَا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُنَا . فَبَيَّنَّا لَنَا أَنْ نَحْفَظَ عَلَى أَنْفُسِنَا : فَلَمَّا أَصْبَحَتْ
 نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْ حَوْلِهِ . وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَفْعَ لَنَا مِثْلَ هَذَا
 وَيَصِيرَ عَلَيْنَا مِثْلُ غَيْرِكَ . وَلَكِنْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذِهِ النِّعَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا .
 وَنَحْنُ وَاثِقُونَ الْآنَ بِالصَّلَاحِ وَجَمْعِ الشَّمْلِ . وَالْآنَ وَالْآنَ وَالْآنَ وَالسَّلَامَةُ
 فِي الْوَطَنِ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّانَاءُ الْجَمِيلُ . وَبَارَكَ
 اللَّهُ لِلْمَلِكِ وَلِنَا مَعَشَرَ الرَّعِيَّةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاهُ السَّعَادَةُ الْعُظْمَى . وَجَعَلَهُ سَعِيدًا
 الْوَفَى قَائِمًا أَمِيدًا

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ : هُنَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَا حَسَنَ الْهَنَاءِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ
 بِحَقِّهِ الْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لِقِي رَبِّهِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ . وَقَدْ وُلِّيتَ
 عَلَيْنَا قَعْدَلًا . فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ سَعِيدًا مُحْرَكًا . فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ
 يُجْزَلَ ثَوَابَكَ وَيُجْرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَذَا الْعَالَمُ فِيمَا
 تَتَّقُونَ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بَعْدَ الْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ .
 فَبِعَظْمِ اخْتِلَافِنَا بَعْدَهُ وَيَقَعِ الْبَلَاءُ فِي الْإِخْتِلَافِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا
 ذَكَرْنَا فَالْوَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْهَلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِدْعَاءِ . لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ
 وَلِنَا سَعِيدًا . وَبِجَعَلَهُ وَارثًا لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ الَّذِي
 يُجِبُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّنْيَا وَبَشْتِهِ بِمَجْهُولِ الْعَاقِبَةِ لَهُ . وَجَبْنَاهُ لَا يَنْبَغِي
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتُهُ . لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُّ ذَلِكَ
 أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ . فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ

الْحَاوِي وَلَوْلَادُهُ وَزَوْجَتُهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ : قَالَ أَمَّا أَنْتَ : وَمَا حِكَايَةُ الْحَاوِي
وَلَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ

(حكاية الحاووي وأولاده وزوجته وأهل بيته)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّكَ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ بَرُّنِي
الْحَيَاتِ . وَهَذِهِ كَانَتْ صَنْعَتُهُ . وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ . فِيهَا ثَلَاثُ حَبَابَاتٍ
لَمْ يُعْلَمْ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ يُخْرِجُ يَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ
بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَيَرْجِعُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ
الْأَحْنَاسَ فِي السَّلَةِ سِرًّا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ .
فَكَانَ هَذَا دَابَّةً عَلَى الدَّوَامِ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ بَيْتِهِ بِهَا فِي السَّلَةِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ
لَهَا عَادَةَ الْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى جَرِي عَادَتِهِ . سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ . وَقَالَتْ لَهُ :
مَا فِي هَذِهِ السَّلَةِ : فَقَالَ لَهَا الْحَاوِي : وَمَا مَرَادُكِ مِنْهَا . أَلَيْسَ الزَّادُ عِنْدَكُمْ
كَبِيرًا زَائِدًا . فَاقْنَعِي بِهَا قِسْمَ اللَّهِ لَكُمْ . وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ . فَسَكَتَتْ عَنْهُ
نَيْلُكَ الْمَرْأَةُ . وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ لِي أَنْ أَفْتِشَ هَذِهِ السَّلَةَ وَأَعْرِفَ
مَا فِيهَا . وَصَمَّتْ عَلَى ذَلِكَ . وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكْدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا
وَالِدَهُمْ عَنْ السَّلَةِ وَيُلْحِقُوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَعَلَّقَ خَاطِرُ الْأَوْلَادِ بِأَنْ فِيهَا شَيْءٌ يُؤْكَلُ . فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلُّ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ
مِنْ آبَائِهِمْ أَنْ يُبْرِئَهُمْ مَا فِي السَّلَةِ . وَكَانَ آبَاؤُهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ
هَذَا السُّؤَالِ . فَمَضَتْ لَهُمْ مَدَّةٌ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ . وَأُمُّهُمْ تَنْهَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَدُفِقُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى
يُكَلِّمَهُمْ طَلِبَتَهُمْ وَيَقْنَعَهُمْ لَمْ السَّلَةِ . فَعِينَمَا هُمْ كَذَلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ الْحَاوِي

وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْخِلِ وَالشَّرْبِ . فَتَعَدَّ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوْا
 الْحُضُورَ إِلَيْهِ . وَيَسْأَلُهُ الْغَبِطُ . فَيَجْعَلُ يَلَاظِفُهُمُ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ . وَيَقُولُ
 لَهُمْ : أَنْظَرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيبَ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكَلًا أَوْ شَرِبًا أَوْ مَلْبُوسًا : فَقَالُوا
 لَهُ : يَا وَالِدَنَا . مَا تُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَفْتَحَ هَذِهِ السَّلَّةَ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا :
 فَقَالَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادِي سِ . لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . وَإِنَّمَا فَتَحُهَا ضَرَرٌ لَكُمْ : فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَزْدَادُوا غَيْظًا . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . أَخَذَ بِهِدْ دُهُمُ وَيَشِيرُ لَهُمْ
 بِالضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَزِدُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي
 السُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . فَهَرَبُوا قُدَّامَهُ
 فِي الدَّارِ . وَكَانَتِ السَّلَّةُ حَاضِرَةً لَمْ يَخْفِهَا الْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ
 الرَّجُلَ مَشْغُولًا بِالْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ السَّلَّةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا
 بِالنَّحْبَاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ السَّلَّةِ وَلَدَعَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلَادَ فَتَقْتُلْنَهَا ثُمَّ دَارَتْ فِي
 الدَّارِ وَأَهْلَكَ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ مَا عَدَا الْحَاوِي . فَتَرَكَ الْحَاوِي الدَّارَ وَخَرَجَ .
 فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ أَهْبَأَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ
 يَبْنِي شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدْ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ يَطِيبَ نَفْسًا بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ
 وَلِرَادَتِهِ . وَهِيَ أَنَّ أَهْبَأَ الْمَلِكُ . مَعَ غَرَارَةِ عَلَيْهِمْ وَجُودَةِ قَهْلِكَ . أَقْرَأَ اللَّهُ
 عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدِكَ بَعْدَ الْبَلَاءِ وَطِيبَ قَلْبِكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
 أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّابِقُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ مَا
 ذَكَرْتُ إِخْوَانِي هَؤُلَاءِ الْوُزَرَاءُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضْرَتِكَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ مِيرَتِكَ وَمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنِ

سِوَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ حَيْثُ فَضَّلُوكَ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا
أَيُّهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَلَّاكَ لِتُعْمِدَ بِهِ. وَأَعْطَاكَ صَلَاحَ
الْمَلِكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَّاَنَا عَلَى أَنْ تَزِيدَهُ شُكْرًا. وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِوُجُودِكَ.
وَمَا حُسْنَتِ فِينَا لَمْ تَخَوْفْ جَوْرًا وَلَا تَنْبَغِي ظُلْمًا. وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ
يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضَعْفِنَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنْ أَحْسَنَ الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا
وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا. وَقِيلَ أَيْضًا: السُّكْنَى مَعَ الْأُسُودِ الْكُوَاوِيسِرُ.
وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا
حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ. وَرَزَقَكَ هَذَا الْوَلَدَ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْبِلَاسِ
وَالطَّعْنِ فِي السِّنِّ. لِأَنَّ أَجَلَ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ. وَقَدْ قِيلَ:
مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ. وَأَنْتَ بِقَوِّمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللَّهِ
تَعَالَى أُعْطِيتَ هَذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ. فَجَاءَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ. مُحْسِنٍ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ. وَصَارَ فَيْكَ ذَلِكَ
مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْعَنْكَبُوتِ
وَالرَّيْحِ

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ: أَظْلَمُ أَيْهَا الْمَلِكُ. أَنْ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّغَتْ فِي بَابِ مُتَخِّ عَالٍ.
وَعَمِلَتْ لَهَا يَتِيمًا وَسَكَنْتْ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي بَسَّرَهَا
هَذَا الْمَكَانَ وَأَمَرَ خَوْفَهَا مِنَ الْهَوَامِّ. فَمَكَثَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَدَّةً مِنْ
الزَّمَانِ. وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ رِزْقِهَا. فَأَمَّخَهَا خَالِفُهَا.

يَأْنِ أَخْرَجَهَا لِنَظَرِ شُكْرِهَا وَصَبْرِهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً.
فَحَمَلَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ. فَجَرَّتْهَا الْأَمْوَاجُ إِلَى الْبَرِّ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
شَكَرَتْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا. وَجَعَلَتْ نُعَائِبُ الرِّيحِ قَائِلَةً لَهَا: أَيُّهَا
الرِّيحُ لِمَ فَعَلْتَ بِي ذَلِكَ. وَمَا الَّذِي حَصَلَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ فِي تَقْلِي مِنْ
مَكَانِي إِلَى هُنَا. وَقَدْ كُنْتُ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذَلِكَ الْبَابِ. فَقَالَ
لَهَا الرِّيحُ: أَنْتَ بِي عَنِ الْعِتَابِ. فَإِنِّي سَأَرْجِعُ بِكَ وَأُوصِلُكَ إِلَى مَكَانِكَ كَمَا
كُنْتَ أَوَّلًا. فَلَيْسَتْ أَلْعَنُكُمُ صَابِرَةً عَلَى ذَلِكَ. رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
مَكَانِهَا حَتَّى دَهَبَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا. وَهَبَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ
فَمَرَّتْ بِهَا وَاحْتَطَفَتْهَا. وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ. فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ
عَرَفَتْهُ فَتَعَلَّعَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَثَابَ الْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ وَرَزَقَهُ هَذَا
الْعَلَامَ بَعْدَ يَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ. وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ قُرَّةَ
عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ. فَحَمْدُ رَعِيَّتِهِ وَأَوْلَادِهِ نِعْمَتُهُ
فَقَالَ الْمَلِكُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ. وَالشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ. لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي عَرَفْنَا بِنُورِ أَثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ. يُؤْتِي
الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ. لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ
لِيَعْمَلَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلْفِهِ. وَيَأْمُرُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَاقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ وَالْعَمَلِ بِالتَّخَوُّفِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ
وَأَحْبَبُوا. فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ كَانَ لِحِظِهِ مُصِيبًا وَلِأَمْرِ رَبِّهِ مُطِيعًا.
فَيَكْفِيهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي آخِرَاهُ. إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَخْطَأَ خَطَأً يَلِيغًا وَعَصَى رِبًّا وَآثَرَ ذُنْبًا
عَلَى أُخْرَاهُ. فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَأْثَرٌ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ. لِأَنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي عَلَى أَهْلِ التَّجْوِرِ وَالْفَسَادِ وَلَا يَهْدِي أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ. وَقَدْ ذَكَرَ
وَزَّرَ أَوَّلًا هَؤُلَاءِ أَنْ مِنْ عَذَابِنَا يَنْهَمُ وَحُسْنِ نَصْرِفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَلَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَعَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لَشُكْرِ الْمَسْتُوجِبِ لِمَزِيدِ أَنْعَامِهِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ
مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ. وَبَالِغُوا فِي الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْقَنَاءِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ
نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ. لِأَنِّي إِنَّمَا أَتَعْبُدُ مَأْمُورٌ وَقَلْبِي بِيَدِهِ وَلِسَانِي
تَائِعٌ لَهُ. رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ. وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِيَالِهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْغَلَامِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ
عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ حَدًّا يَغْلِبُ مَعَهُ الْبَأْسُ وَضَعُفُ الْيَقِينِ. وَالْمُحَمَّدُ
لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْخُرْمَانِ. وَاخْتِلَافِ الْأَحْكَامِ كَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ أَنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا. فَحَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا
هَذَا الْغَلَامَ سَمِيمًا مُطِيعًا وَجَمَلَةً وَارْتَأَيْنَا الْخِلَافَةَ مَحَلًّا رَفِيعًا. نَسْأَلُهُ مِنْ
كَرَمِهِ وَجَلِيلِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدًا مُحَرَّكَاتِ مَوْفَقَاتِ الْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا
وَسُلْطَانًا عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ. حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ الْإِعْسَافِ
بِنَبِيِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَعَ الْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ الْأَحْكَامُ وَالْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلَّهِ وَشَكَرُوا
الْمَلِكَ وَقَبِلُوا يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ
الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ الْغَلَامَ وَدَعَا لَهُ
فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْعُمْرِ اثْنَتَا عَشْرَ سَنَةً. أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَعْلِمَهُ الْعُلُومَ خَفِيَّ

لَهُ قَصْرًا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَاثِينَ مَنصُورَةً وَجَمَلَ الْغُلَامَ فِيهِ. وَرَتَّبَ لَهُ ثَلَاثَةَ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَنصُورَةٍ يَوْمًا وَيَخْرُجُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيَعْلُمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَنصُورَةٍ مَا يَعْلُمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ مِنْ أَصْنَافِهَا. ثُمَّ إِذَا الْعُلَمَاءُ أَقْبَلُوا عَلَى الْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْهَمُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤْخِرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ. فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذَلِكَ الْعَنَلِ وَجُودَةِ النَّهْمِ وَقَبُولِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَظْهَرْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا تَعَلَّمَهُ وَلَكَ وَآتَنَهُ. فَكَانَ الْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا حَسَنًا وَأَدَبًا جَمِيلًا. وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَيَهْمًا مِثْلَ هَذَا الْغُلَامِ. فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ الْغُلَامُ مِائَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ. وَفَاقَ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْمَلِكِ وَالِاهِ. وَقَالُوا لَهُ: أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا الْوَلَدِ السَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَغَ مَا بَلَغَهُ: فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى. ثُمَّ دَعَا بِشَمَاسِ الْوَزِيرِ وَقَالَ لَهُ: أَعْلَمْ بِاشْمَاسُ. أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ لَهُ حَتَّى فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَ

فِي ذَلِكَ. فَأَنْتَوُلُ بِأَسْمَاسُ: فَجَبَدَ عِنْدَ ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبِلَ يَدَ
 الْمَلِكِ وَقَالَ: أَبَتِ الْيَافُوَّةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي الْجَبَلِ الْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِبَّةً
 كَالسِرَاجِ. وَأَبْنُكَ هَذَا حَوَمَةٌ. فَأَمْنَعُهُ حَدَائِثَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا.
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ. وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَنْطِقُهُ بِمَا
 عِنْدَهُ فِي مَجْمَعٍ أَجْمَعُهُ لَهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ
 شَمَاسٍ أَمَرَ جَهَائِدَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاةَ الْفُضَلَاءِ وَمَهْرَةَ الْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا
 إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ فِي غَدٍ. فَحَضَرُوا جَمِيعًا. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ أَذِنَ لَهُمْ
 بِالْدُخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَمَاسُ الْوَزِيرُ. وَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ امْتِحَانُ ابْنِ الْمَلِكِ
 (وَمَا تَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئَلِهِ وَأَجْوِبُهُ امْتِحَنَ بِهَا فَلَجَابَ عَلَيْهَا أَحْسَنَ
 جَوَابٍ) قَالَ شَمَاسُ لِلْعَلَامِ: أَخْبِرْنِي هَلْ تَسْتَعِيمُ آخِرَهُ يَغْيِرُ دُنْيَا
 قَالَ الْعَلَامُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ لَهُ. وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا
 وَالْعَادَ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ كَيْتِلْ أَهْلَ تِلْكَ الضَّبَاعِ الَّذِينَ ابْتَنَى لَهُمْ
 أَمِيرٌ يَتَنَا ضَيْفًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ. وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ بِعَمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ لَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ شَخْصًا. فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أَمَرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ
 الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الضُّيْقِ. وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أَمَرَ بِهِ. وَقَدْ أَنْفَضَى الْأَجَلَ
 الْمَضْرُوبُ لَهُ عُقُوبَ. فَتَيْنَهَا هُمْ كَذَلِكَ. إِذْ رَشَحَ لَهُمْ مِنْ شُقُوقِ الْبَيْتِ
 عَسَلٌ. فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ تَوَانَوْا فِي الْعَمَلِ
 الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَتَبَدُّوْا وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ. وَصَبَرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضُّيْقِ
 وَالنَّعَمِ مَعَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا. وَفِينَعُوا بِتِلْكَ
 التَّحَلُّوفِ الْبَسِيرَةِ. وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْهُمْ. إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ. إِلَّا

وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَعَرَفْنَا أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ تَجَرُّبٍ فِيهَا الْأَبْصَارُ
وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْأَجَالُ . فَمَنْ وَجَدَ الْحَلَاةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي
الدُّنْيَا وَاشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ . حَيْثُ أَثَرُ أَمْرٍ دُنْيَا عَلَى آخِرَتِهِ
وَمَنْ يُؤْثِرُ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاةٍ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ
مِنَ الْفَائِزِينَ

قَالَ شِمَاسٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقِيلَتْ
ذَلِكَ مِنْكَ . وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهَا مُسْلُطِينَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهَا
مَعًا . وَهِيَ مُخْتَلِفَانِ . فَإِنْ أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ الْمَعِيشَةِ . فَذَلِكَ إِضْرَارُهُ
يُرْوِجُهُ فِي الْمَعَادِ . وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . كَانَ ذَلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ . وَلَيْسَ
لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَائِهَا أَلْتَخَالِفِينَ مَعًا

قَالَ الْغَلَامُ : إِنَّهُ مَنْ حَصَلَ الْمَعِيشَةُ فِي الدُّنْيَا نَفَوِيهِ عَلَى الْآخِرَةِ . فَإِنِّي
رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكَيْنِ . عَادِلٍ وَجَائِرٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ
الْمَلِكِ الْجَائِرِ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ وَنَبَاتٍ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدْعُ أَحَدًا
مِنَ التُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ . وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذَلِكَ . لِمَا يُصِيبُونَ
مِنْ خِصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ . وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَادِلُ . فَإِنَّهُ بَعَثَ
رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا وَافِرًا وَأَمَرَ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ
الْمَلِكِ الْجَائِرِ . لِيَتَنَاقَشَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَنْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ . حَتَّى
دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ . فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَلَجَّرَ مَعَهُ
مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَنَاقَشَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَخْضَعَهُ وَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَنْتَ . وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ . وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي . وَمَا حَاجَتُكَ . فَقَالَ

لَهُ: إِنِّي مِنْ أَرْضٍ كَذًا وَكَذَا. وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَا لَا
وَأَمَرَنِي أَنْ أَتْبَاعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ. فَأَتَمَثَّلْتُ أَمْرَهُ وَجِئْتُ:
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَمَتَى. أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي أَخَذْتُ مَا لَمْ
يُنِي كُلِّ يَوْمٍ. فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ. وَهَذَا أَنْتَ مُفِيمٌ بِأَرْضِي مُنْذُ كَذًا
وَكَذَا: فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ: إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ
يَدِي حَتَّى أُورِثَهُ لِصَاحِبِهِ: فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ. تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ
مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَنْدِي نَفْسَكَ بِهَذَا الْمَالِ جَمِيعِهِ: فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ:
قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هَذَا الْمَلِكِ عَامٌ عَلَى مَنْ أَقَامَ
بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ أَرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَخَذَابُ الْمَالَ لَا بُدَّ مِنْهَا وَلَمْ أُصِْبْ
حَاجَتِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ الْمَالِ كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ الْمَالِ
لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أُعْطِيَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ جُزْءًا يَسِيرًا
وَأَرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَذَا الْمَالِ الْهَلَكَ. وَأُصِيبُ مِنْ خِصْبِ
هَذِهِ الْأَرْضِ قُوَّةَ نَفْسِي حَتَّى أَتْبَاعَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ
أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَأَخْذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هَذِهِ. وَأَتَوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ
الْمَالِ بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَذْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عُقُوبَةً فِيهَا
أَخَذَ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَالِ: خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَسِيرًا: ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا
لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أَتَقْدِي نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ
مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهَا: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ مِنْهُ ذَلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ
سَنَةً. فَأَشْتَرَى الرَّجُلُ بِمَالِهِ جَمِيعَهُ جَوَاهِرَ. وَأَنْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ
قَالَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ مِثَالُ الْآخِرَةِ. وَالْجَوَاهِرُ الَّتِي بِأَرْضِ الْمَلِكِ الْبَاقِي

يُنَالُ الْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ. وَمِثَالُ مَنْ طَلَبَ
الدُّنْيَا. وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ. وَمِثَالُ لِحْيَةِ الْإِنْسَانِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلِمْتُ
أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا يُخْلِي يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ.
فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا نَالَ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ. وَأَرْضَى الْآخِرَةَ بِهَا
بِصَرَفٍ مِنْ حَيَاتِهِ فِي طَلَبِهَا

قَالَ شِمَاسٌ: فَأَخْبِرْنِي هَلِ التَّجَسُّدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.
أَوْ لَمْ يَخْتَصْ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَالْحُطَيَّاتِ وَقَاعِلُ الْحُطَيَّاتِ
قَالَ الْغَلَامُ: قَدْ يَكُونُ الْمُبْلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْحُطَيَّاتِ مُوجِبًا لِلثَّوَابِ
يُجْبِسُ النَّفْسَ عَنْهَا وَالتَّوْبَةَ مِنْهَا. وَالْأَمْرُ بِدَمْنٍ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُضِدُّهَا
تَقْدِيرُ الْأَشْيَاءِ. عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ. وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِالرُّوحِ.
وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْإِلْفَاتِ إِلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْآخِرَةِ.
فَهَا قَرَسًا رَهَانًا وَرَضِيْعًا لِبَابِ. وَمُشْتَرِكًا فِي الْأَعْمَالِ. وَبِاعْتِبَارِ النِّيَّةِ
تَفْصِيلُ الْأَجَالِ. وَكَذَلِكَ التَّجَسُّدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكًا فِي الْأَعْمَالِ. وَفِي
الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَعْيِ وَالْمُقْعَدِ. الَّذِينَ أَخَذَهَا رَجُلٌ
صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهَا أَنْ لَا يَنْسَدَا فِيهِ وَلَا يَصْنَعَا فِيهِ
أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ. فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ الْبُسْتَانِ. قَالَ الْمُقْعَدُ لِلْأَعْيِ: وَمَحَكَ
لِي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدْ أَشْتَهَيْتُهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا لِأَكُلَ
مِنْهَا. فَقُمْ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحُ الرَّجْلَيْنِ. وَأَمْنًا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ: فَقَالَ الْأَعْيِ:
وَمَحَكَ. قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا. وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.
لِأَنِّي لَسْتُ أَبْصُرُهَا. فَمَا أَنْجِلْتُهُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ: فَيَنْتَهِمَا هَذَا كَذَلِكَ. إِذَا

أَتَاهُمَا النَّاطِرُ عَلَى الْبُسْتَانِ. وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا. فَقَالَ لَهُ الْمُبْعَدُ: وَنَحْكَ.
يَا نَاطِرُ. إِنَّا قَدْ أَشْبَهْنَا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْفَارِ. وَنَحْنُ كَمَا تَرَى أَنَا مُبْعَدُ
وَصَاحِبِي هَذَا أَتَعْنِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا. فَأَجَلْنَا

فَقَالَ لَهُمَا النَّاطِرُ: وَنَحْكُمْ أَلَسْنَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَ كَمَا عَلَيْكَ صَاحِبُ
الْبُسْتَانِ. مِنْ أَنَّكَ لَا تَعْرِضَانِ لشيءٍ مِمَّا يُؤْثِرُ فِيهِ الْفَسَادَ. فَأَنْتُمَا وَلَا تَفْعَلَا:
فَقَالَ لَهُ: لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هَذِهِ الْفَارِ مَا نَأْكُلُهُ. فَأَخْبَرْنَا بِهَا عِنْدَكَ
مِنَ الْخِجْلَةِ: فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِنَا عَنْ رَأْيِهَا. قَالَ لَهُمَا: الْخِجْلَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُومَ
الْأَعْمَى وَنَحْمِلَكَ أَهْمَا الْمُبْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَبُذْنِكَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْجَبُكَ
أَهْمَارُهَا. حَتَّى إِذَا أَذْنَاكَ مِنْهَا. نَحْنِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ الْفَارِ: فَقَامَ الْأَعْمَى
وَحَمَلَ الْمُبْعَدَ. وَجَعَلَ الْمُبْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى السَّبِيلِ حَتَّى أَذْنَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ.
فَصَارَ الْمُبْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ. وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ كَأُحَدُهُمَا حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي
الْبُسْتَانِ مِنَ الشَّجَرِ. وَإِذَا بِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا: وَنَحْكُمْ مَا
هَذِهِ الْفِعَالُ. أَلَمْ أَعَاهِدْ كَمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هَذَا الْبُسْتَانِ: فَقَالَ لَهُ: قَدْ
عَلِمْتَ أَنَّنَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. لِأَنَّ أَحَدَنَا مُبْعَدُ لَا يَقُومُ
وَالْآخَرُ أَتَعْنِي لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَأَذْنُبْنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ الْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمْ تَظُنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أُخْرِجُ كَيْفَ صَنَعْنَا
وَكَيْفَ أَفْسَدْنَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَهْمَا الْأَعْمَى قَدْ فُهِتَ وَحَمَلْتَ الْمُبْعَدَ
عَلَى ظَهْرِكَ. وَصَارَ يَهْدِيكَ السَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى الشَّجَرِ: ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهَا
وَعَاقَبَهَا عِقَابًا شَدِيدًا وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْبُسْتَانِ
فَالْأَعْمَى مِثَالُ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِالنَّفْسِ. وَالْمُبْعَدُ مِثَالُ

لِلنَّفْسِ الَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِالْجَسَدِ. وَأَمَّا الْبَسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالُ لِلْعَمَلِ
الَّذِي يُجَارَى بِهِ الْعَبْدُ. وَالنَّاظِرُ مِثَالُ لِلْعَقْلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى
عَنِ الشَّرِّ. فَالرُّوحُ وَالْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْعِقَابِ وَالنُّوَابِ

قَالَ شِمَاسٌ: صَدَقْتَ وَقَدْ قِيلْتُ مِنْكَ ذَلِكَ. فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْعَالَمِ
الْعَلِيمِ. ذِي الرَّأْيِ السَّيِّدِ. وَالْفِطْنَةِ الْوَقَادَةِ. وَالَّذِي مِنَ الْفَائِزِ الرَّائِقِ.
هَلْ يَغَيِّرُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ

قَالَ الْغَلَامُ: إِنِّي هَاتَيْنِ الْمُحْصَلَتَيْنِ إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الرَّجُلِ غَيْرَنَا
عَلَيْهِ وَفَهَّمَهُ. وَرَأَيْهِ وَذِمَّتُهُ. وَكَانَ مِثْلَهُ مِثْلَ الْعُقَابِ الْكَاسِرِ الْبَحَاذِرِ
عَنِ الْقَنْصِ الْمَنِيمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ لِنَرُطِ حَذْفِهِ. فَيَنْبَغِي هُوَ كَذَلِكَ إِذَا
نَظَرَ رَجُلًا صَيَادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّجُلُ مِنْ نَصَبِ الشَّرَكِ
وَضَعَ فِيهِ فِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْصَرَ الْعُقَابُ فِطْعَةَ اللَّحْمِ. فَغَلَبَ عَلَيْهِ
الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ حَتَّى لَبَّى مَا شَاهَدَ مِنَ الشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ مَا
وَقَعَ مِنَ الطَّائِرِ. فَانْتَضَّ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ. حَتَّى وَقَعَ عَلَى فِطْعَةِ اللَّحْمِ.
فَأَشْتَبَكَ فِي الشَّرَكِ. فَلَمَّا جَاءَ الصَّيَادُ رَأَى الْعُقَابَ فِي شَرَكِهِ. فَتَعَجَّبَ
عَجْبًا شَدِيدًا. وَقَالَ: أَنَا نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنْ
الطُّيُورِ الضَّعِيفَةِ. فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هَذَا الْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَذَكَّرُ
عَاقِبَةَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَقْلِهِ. فَيَسْتَنْعِ مَا حَسَنَاهُ. وَيَنْهَى بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ.
فَإِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ. يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ الْعَقْلَ مِثْلَ الْفَارِسِ
الْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ. إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ الْأَرْعَنَ فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِالْجَاهِ الشَّدِيدِ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ. وَيَبْضِي مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهَا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ. وَالْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ عَلَيْهِ. وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ مُسْلِطَانِ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ. فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ. وَلَا يَكُونُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُصْنِ إِصَابَةٍ فِي الْإِجَابَةِ. قَالَ شَمَّاسُ لِلْمَلِكِ جُلَيْنَاكَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنْتَ مَلِكُنَا. وَلَكِنْ يُحِبُّ أَنْ نَعْهَدَ لِيُؤَدِّكَ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ. وَنَحْنُ الْخَوَلُ وَالرَّعِيَّةُ: فَعِنْدَ ذَلِكَ حَثَّ الْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى أَنْ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ بِحَفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُمَثِّلُوا أَمْرَ ابْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيًّا عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ. لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مَلِكِ وَالِدِهِ. وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّجْعَانِ وَالشُّبُوحِ وَالصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ. أَنْ لَا يَخْلَعُوا عَلَيْهِ وَلَا يَنْكِحُوا عَلَيْهِ أَمْرًا. فَلَمَّا آتَى عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً. مَرِضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ. فَلَمَّا أَبْهَنَ الْمَلِكُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ. قَالَ لِأَهْلِهِ: هَذَا دَاءُ الْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ بِي. فَادْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَاجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي. حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَبِحَضْرٍ: فَخَرَجُوا وَنَادَوْا النَّاسَ الْقَرِيبِينَ. وَاجْمَعُوا بِالْبُيُوتِ لِلنَّاسِ الْبُعِيدِينَ. حَتَّى حَضَرُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ. أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا: قَالَ لَمْ الْمَلِكُ: إِنَّ مَرَضِي هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ السَّهْمُ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ. وَأَنَا الْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَلَوْلَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ: ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: اخْذْ مِنِّي قَدَنًا مِنْهُ الْعَلَامُ. وَهُوَ يَنْكِحُ بَنَاتًا

شَدِيدًا. حَتَّى كَلَدَ أَنْ يُبْلَ فِرَاشُهُ. وَالْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ
حَضَرَ. ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لَوْلَايَ: لَا تَبْكُ يَا ابْنِي. فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى
لَهُ هَذَا الْخُتُومُ لِأَنَّهُ سَافِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ. وَأَعْمَلُ خَيْرًا بِسَبْقِكَ إِلَى
الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقْصِدُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ. وَلَا تُطِيعِ الْهَوَى وَأَشْغَلْ نَفْسَكَ
بِذِكْرِ اللَّهِ فِي فَيَامِكَ وَقُعودِكَ وَبِقِظَتِكَ وَنَوْمِكَ. وَأَجْعَلِ الْخَوْفَ نُصَبًا
عَيْنِكَ. وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَالسَّلَامُ

فَقَالَ الْعَلَامُ لِابْنِهِ: قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ. أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا وَلَوْ صِينَكَ
حَافِظًا. وَلِأَمْرِكَ مُنِيفًا. وَلِرِضَاكَ طَائِلًا. وَأَنْتَ لِي نِعَمُ الْأَبِّ. فَكَيْفَ
أَخْرَجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ. وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرْبِيَّتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا
أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ. فَإِذَا حَنِظْتُ وَصَيْتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي
النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكْرَاتِ
الْمَوْتِ: يَا ابْنِي. أَلَزِمَ عَشْرَ خِصَالٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَهُنَّ:
إِذَا اغْتَضَبْتَ فَأَكْظِمْ غَيْظَكَ. وَإِذَا يَلَيْتَ فَاصْبِرْ. وَإِذَا نَطَقْتَ فَاصْذُقْ.
وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ. وَإِذَا حَكَمْتَ فَاعْدِلْ. وَإِذَا قَدَّرْتَ فَاعْفُ. وَكَرِّمْ
فُؤَادَكَ. وَأَصْلَحْ عَنْ أَعْدَائِكَ. وَأَبْذِلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ. وَكُفْ أَذَاكَ
عَنْهُ. وَأَلَزِمَ أَيْضًا عَشْرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ
وَهِيَ: إِذَا قَسَمْتَ فَاعْدِلْ. وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَجَبَّرْ. وَإِذَا عَاهَدْتَ
فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ. وَأَقْبَلِ التَّضَخُّعَ. وَأَتْرِكِ الْجُلُوعَ. وَأَلَزِمِ الرِّعْيَةَ بِالْإِسْتِقَامَةِ
عَلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْحَمِيدَةِ. وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ النَّاسِ. حَتَّى يُحِبَّكَ
كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافَكَ عَابِدُهُمْ وَمُنْصِدُّهُمْ: ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنْ

الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ. الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لَوْلَاكَ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ:
 إِيَّاكُمْ وَمُخَالَفَةً أَمْرٍ مَلِكِكُمْ. وَتَرَكَ الْإِسْمَاعَ لِكَبِيرِكُمْ. فَإِنْ فِي ذَلِكَ هَلَاكًا
 لِرِضِكُمْ. وَتَفْرِيقًا لِحَبِيعِكُمْ. وَضَرَرًا لِبَدَائِكُمْ وَتَلَفًا لِمَوَالِكُمْ فَتَشَبَّهَتْ بِكُمْ
 أَعْدَاؤُكُمْ. وَهَذَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدْتُمْوْنِي عَلَيْهِ. فَهَكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ
 هَذَا الْغَلَامِ وَالْيَمِثَاقِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ. وَعَلَيْكُمْ
 بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِي. لِأَنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ أَحْوَالِكُمْ. وَأَثْبَتُوا مَعَهُ عَلَى مَا
 كُنْتُمْ مَعِيَ فَتَسْتَفِيمُ أُمُورُكُمْ وَتَحْسُنَ حَالُكُمْ وَهَذَا هُوَ خَاطَمُكُمْ وَوَلِيُّ نِعْمَتِكُمْ
 وَالسَّلَامَةُ: ثُمَّ بَعْدَ هَذَا أَشْتَدَّتْ بِهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ. وَالتَّجَمُّ لِسَانُهُ. فَضَمَّ أَبْنَهُ
 إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَشَكَرَ اللَّهَ ثُمَّ قَضَى نَجْبَهُ. وَطَلَعَتْ رُوحُهُ. فَتَنَاجَى عَلَيْهِ جَمِيعَ رَعِيَّتِهِ
 وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِهْمَمَ كَفَنُوهُ وَدَفَنُوهُ بِأَكْرَامٍ. وَتَسَجَّلَ وَإِعْظَامُ. ثُمَّ
 رَجَعُوا وَالْغَلَامُ مَعَهُمْ. فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ الْمَلِكِ. وَتَوَجَّوْهُ بِتَاجٍ وَإِلَيْهِ وَالْبَسُوهُ
 الْحَنَاقِمَ فِي أَصْبَعِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ. فَسَارَ الْغَلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَبِيهِ
 بِالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُدَّةَ بَسِيرَةٍ. ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَجَدَّتْهُ
 بِشَهْوَانِهَا. فَاسْتَغْنَمَ لَدَائِمَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَارِفِ أُمُورِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ قَلْدُ
 أَمْرِهِ مِنَ الْمَوَائِقِ. وَنَبَذَ الطَّاعَةَ لَوْلَاكَ وَأَهْمَلَ مَمْلَكَتَهُ. وَمَشَى فِي مَا فِيهِ
 هَلَاكُهُ مُدَّةَ مِنَ الزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَشْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ السَّيْرِ وَالسِّيَاسَةِ.
 وَهَذَا مَا أَنتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَلِكِ جُلَيْعَادَ وَوَلَدِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا يَنْبِي

٤١٠
حِكَايَةُ الطُّورِ وَالْوُحُوشِ
مَعَ ابْنِ آدَمَ

وَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ طَاوُوسٌ
يَأْوِي إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مَعَ زَوْجِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ كَثِيرَ السِّبَاعِ وَفِيهِ
مِنْ سَائِرِ الْوُحُوشِ غَيْرُ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ. وَذَلِكَ الطَّاوُوسُ
مَوْزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهَا مِنْ
الْوُحُوشِ. وَبَعْدُ وَإِنْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ نَهَارًا. وَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى كَثُرَ
خَوْفُهَا. فَسَارَا يَبْتَغِيَانِ مَوْضِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا هُمَا
يَفْتَشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لهُمَا جَرِيَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ. فَتَزَالَا
فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ وَالْكَلاَمِ أَثْمَارُهَا. وَشَرِيَا مِنْ أَنْهَارِهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ
إِذَا بَيْطَةٌ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا. وَهِيَ فِي شِدَّةِ الْفَرَحِ. وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى
الشَّجَرِ الَّتِي عَلَيْهَا الطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ. فَاطْمَأْنَنْتَ. فَلَمْ يَشْكُ الطَّاوُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَيْطَةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ. فَسَأَلَاهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ خَوْفِهَا.
فَقَالَتْ: إِنِّي مَرِيضَةٌ مِنَ الْحُزَنِ وَخَوْفِي مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَخَذَارِي حَذَارِي
مِنْ بَنِي آدَمَ: فَقَالَ لَهَا الطَّاوُوسُ: لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتَ إِلَيْنَا: فَقَالَتْ
الْبَيْطَةُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذِّي فَرَّجَ هَمِّي وَغَشِيَ بَغْرِيكُمْ. وَقَدْ أَتَيْتُ رَاغِبَةً فِي
مَوَدَّتِكُمَا: فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ كَلَامِهَا. تَزَلَّتْ إِلَيْهَا زَوْجَةُ الطَّاوُوسِ وَقَالَتْ
لَهَا: أَفَلَا وَسَهْلًا. لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. وَمِنْ ابْنِ آدَمَ وَنَحْنُ فِي
تِلْكَ الْأَجْزَاءِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ. فَمَنْ الْبَرُّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا. وَمِنْ
الْبَحْرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا. فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِالَّذِي نَزَلَ بِكَ وَأَعْتَرَاكَ

مِنْ ابْنِ آدَمَ: فَقَالَتِ الْبَطَّةُ: أَعْلَمِي أَيْتَهَا الطَّائِفَةُ. أَنْتِي فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ
 طُولَ عُمْرِي أَيْتَهُ لَا أَرَى مَكْرُوهًا. فَمِثُّ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. فَرَأَيْتُ صُورَةَ
 ابْنِ آدَمَ وَهُوَ يَخَاطِبُنِي وَأَخَاطِبُهُ. وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي: أَيْتَهَا الْبَطَّةُ.
 أَحْذَرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ. وَلَا تَغْتَرِي بِكَلَامِهِ. وَلَا يَمَّا يُدْخِلُهُ عَلَيْكَ. فَإِنَّهُ
 كَثِيرُ الْخَيْلِ وَالْخِدَاعِ. فَأَحْذَرُ كُلَّ أَحْذَرٍ مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَكْرٌ.
 كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرْوِعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوِعُ الثَّلَعَابُ
 وَأَعْلَمِي أَنَّ ابْنَ آدَمَ يَجْنَالُ عَلَى الْخَيْتَانِ. فَيُغْرِجُهُمَا مِنَ الْخِيَارِ. وَيَرْجِبُ
 الطَّيْرَ يَبْدُقُوهُ مِنْ طِينٍ. وَيُوَفِّعُ الْفِيلَ بِمَكْرِهِ. وَابْنُ آدَمَ لَا يَسْلُمُ أَحَدًا
 مِنْ شَرِّهِ. وَلَا يَخْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ. وَقَدْ بَلَغْتُكَ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ ابْنِ آدَمَ.
 فَاسْتَبَقْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرُوعَةً. وَأَنَا إِلَى الْآنَ لَا يَنْشُرُ صَدْرِي
 خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ. لِيَلَّا يَذْهَبَنِي بِحِيلَتِهِ وَيَصِدَّنِي بِجَبَائِلِهِ. وَلَمْ
 يَأْتِ عَلَيَّ آخِرُ النَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفْتُ قُوَّتِي. وَبَطَلَتْ هَيْبَتِي. ثُمَّ إِنِّي
 اسْتَنْفَتُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ. فَخَرَجْتُ أَتَمَشُّ وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ. وَقُلِّي
 مَقْبُوضٌ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْخَيْلِ. وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شَيْئًا
 أَصْفَرَ اللَّوْنِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي
 وَكَوْنِي لَطِيفَةِ الذَّاتِ. فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: أَقْرُبِي مِنِّي. فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ
 قَالَ لِي: مَا أَسْمُكَ. وَمَا جِنْسُكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا بَطَّةٌ. وَأَنَا مِنْ جِنْسِ
 الطَّيْرِ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذَا الْمَكَانِ
 فَقَالَ الشَّيْءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ وَالِدِي الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ وَهُوَ يَحْذَرُنِي مِنْ

أَبْنِ آدَمَ . فَأَتَقَوَّ أَنْي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي مَنَامِي صُورَةَ أَبْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنِ
الشَّيْبَلُ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعْتَ كَلَامَهُ . قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ : إِنِّي قَدْ لَجأتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُقْتَلَ
أَبْنِ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا . وَأَزْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي
مِنْ خَوْفِكَ مِنْ أَبْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ . وَمَا زِلْتُ يَا أَخِي
أَحْذِرُ الشَّيْبَلِ مِنْ أَبْنِ آدَمَ . وَلَوْ صَبِهَ بِقَتْلِهِ . حَتَّى قَامَ مِنْ وَفَيْهِ وَسَاعَدْتُهُ مِنْ
الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَأَيْتُهُ . فَفَرَّقَ بَيْنَهُ عَلَى ظَهْرِ
وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْسِي وَرَأَيْتُهُ إِلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبْرَةَ طَارَتْ .
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا جَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ . وَهُوَ
نَارَةٌ بَقِصٌ وَبَحْرِي . وَنَارَةٌ يَفْرُغُ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ الْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ
خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْحَيَوَانُ اتَّخَرْتُ الْعَقْلَ . مَا جِئْتُكَ . وَمَا سَبَبُ
قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقَالَ لَهُ : يَا أَبْنِ السُّلْطَانِ أَنَا جِئْتُ جَارًا .
وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ : فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَلُ : وَهَلْ
أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ أَبْنِ آدَمَ أَنْ يَتَلَكَ : فَقَالَ لَهُ الْجَارُ : لَا يَا أَبْنِ السُّلْطَانِ .
وَأَمَّا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكِبَنِي . لِأَنْ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيه الْبَرْدَاعَةَ
فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيه الْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيه
الْحِجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي . وَيَعْمَلُ لِي مِغْطَاسًا يَغْشِي بِهِ . وَيَكْلِفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنْ
الْجُزْيِ . وَإِذَا عَذَرْتُ لَعْنَتِي . وَإِنْ نَهَيْتُ شَتَنِي وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَثُرْتُ . وَلَمْ
أَقْدِرْ عَلَى الْجُزْيِ . يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنْ الْخَشَبِ وَيُسَلِّمُنِي إِلَى السَّقَائِمِ
فَيَجْعَلُونِ اللَّيْلَةَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْجُزْيِ الْقَرِيبِ وَتَحْوِيهَا كَأَنْجَارٍ وَلَا أَزَالُ

فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ النِّلَالِ لِلِكَلَابِ . فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَلَمْ . وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْبَصَائِبِ

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَبْنَاهَا الطَّائِوسَةَ كَلَامَ الْحِجَارِ أَفْشَعَرَ جَسَدِي مِنْ ابْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشَّيْلِ : يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِجَارَ مَعْدُورٌ . وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُغْبًا عَلَى رُغْبِي : فَقَالَ الشَّيْلُ لِلْحِجَارِ : إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ : فَقَالَ لَهُ الْحِجَارُ : إِنِّي نَظَرْتُ ابْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَعِيدٍ . فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ . وَهَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ . وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ . لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا يَأْوِينِي مِنْ ابْنِ آدَمَ الْغَدَّاسِ

فَإِنَّمَا ذَلِكَ الْحِجَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْلِ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّعَنَا وَيُرَوِّحَ . إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبْرَةٌ . وَنَظَرَ الْحِجَارُ بِعَيْنَيْهِ إِلَى نَاحِيَةِ الْغَبْرَةِ . فَتَهَقَّ وَصَاحَ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ فَرَسِ آدَمَ يُغَرِّعُ كَالدِّرْهِمِ . وَذَلِكَ الْفَرَسُ ظَرِيفُ الْفَرَعِ مَلِجُ التَّجِيلِ حَسَنُ الْقَوَائِمِ وَالصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْلِ ابْنِ الْآسَدِ . فَلَمَّا رَأَى الشَّيْلُ اسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا جِئْتُكَ أَهْمًا الْوَحْشُ الْجَلِيلُ . وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِضِ الطَّوِيلِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدُ الْوَحْشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْتَّجِيلِ . وَسَبَبُ شُرُودِي هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَتَجَبَّبَ الشَّيْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ . فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ : وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ عَظَمِ جُنَّتِكَ . وَسُرْعَةِ جَرَبِكَ : وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَمِيعَ مَعَ ابْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ وَأَكُلَ لَحْمَهُ وَأَسْكِنَ رَوْعَ هَذِهِ الْبَطْئَةِ الْمُسْكِنَةِ

وَأَفْرَهَا فِي وَطْنِهَا. وَهَذَا أَنْتَ لَهَا أَتَيْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ
وَلَمْ جَعْتَنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا كُنْتُ أَنْتَ مَعَ عَظِيمِكَ قَدْ قَهَرَكِ ابْنُ
آدَمَ. وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طَوْلِكَ وَعَظَمِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْفِيهِ كَأَنَّ الرَّدَى: فَصِيحُ الْفَرَسِ لَهَا سَمِعَ كَلَامَ
الشَّيْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ أَلَلِكِ. فَلَا بُغْرُكَ طُولِي
وَلَا عَرْضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ابْنِ آدَمَ. لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِمْلِهِ وَمَكْرِهٍ بَصْنَعٍ لِي
شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشِّكَالُ. وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَالَيْنِ مِنْ حِجَالِ أَلَلِكِ
الْمَلْفُوفَةِ بِاللُّبَادِ وَيَصْلِيهِ مِنْ رَأْسِي فِي وَتْدٍ عَالٍ وَأَبْقَى وَافِقًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ
لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنْامَ. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي بَعَثَ لِي شَيْئًا مِنْ رِجْلَيْهِ
مِنْ أَحْمَدِ أُمَّةِ الرِّكَابِ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمُّهُ السَّرَجَ وَيَشُدُّ
بِحِزَامَيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَوْقِ شَيْئَا مِنْ أَحْمَدِ يُسَمُّهُ الْحِمَامَ وَيَضَعُ
فِيهِ شَيْئًا مِنْ أَحْمَدِ يُسَمُّهُ الصَّرْعَ. فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى السَّرَجِ
يُنَسِّكُ الصَّرْعَ بِيَدِهِ وَيَقُوذُنِي بِهِ وَيَهْمُزُنِي بِالرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى
يُدْنِيهَا. وَلَا تَسْأَلْ يَا ابْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أَقَاسِيهِ مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَإِذَا كَثُرَتْ
وَأَتَّخِلَ ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْحَرْبِ. يَبْعَثُنِي لِلطَّحَانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي
الطَّاحُونِ. فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبْعَثُنِي لِلْغَزَا
فَيَذْبَحُنِي وَيَسْلُخُ جِلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنْبِي وَيَسْعُمُهَا لِلْغَزَا بِلِي وَالْمَنَاخِلِ وَيَسْلُخُ شَعْبِي
فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ كَلَامَ الْفَرَسِ أَرَادَ غَيْظًا وَغَمًّا وَقَالَ لَهُ يَهْنَى فَارَقْتُ
ابْنَ آدَمَ: قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي: فَيَسْمُوهُ الشَّيْلُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ
الْفَرَسِ بِهَذَا الْكَلَامِ إِذَا بَغَرَهُ ثَلَاثَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ وَبَانَ

مِنْ تَحْتِهَا جَبَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يَبِيعُ وَيَخْتِطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ
كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا. فَلَمَّا رَأَى الشَّيْلُ كِبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ
فَارَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ. إِنَّ هَذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ.
وَأَمَّا هَذَا جَبَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ: فَبَيْنَمَا أَنَا يَا أَخِي مَعَ الشَّيْلِ
فِي هَذَا الْكَلَامِ. وَإِذَا بِالْجَبَلِ تَقَدَّمَ بَيْنَ آيَادِي الشَّيْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَرَدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ: مَا سَبَبُ مَحَبَّتِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالَ: جِئْتُ هَارِبًا
مِنْ ابْنِ آدَمَ: قَالَ لَهُ الشَّيْلُ: وَأَنْتَ مَعَ عِظَمِ خَلْقِكَ وَطُولِكَ وَعَرَضِكَ
كَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَضْتَهُ بِرِجْلِكَ رَفْصَةً لَنَلْتَنَّهُ: فَقَالَ لَهُ
الْجَبَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ. أَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا يَغْلِبُهُ
إِلَّا الْمَوْتُ. لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَنْفِي خِطًّا وَيُسَبِّبُهُ خِزَامًا وَيَحْمِلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا
وَيُسَلِّمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَحْرِقُنِي الْوَلَدُ الصَّغِيرُ بِالْخِطِّ مَعَ كِبَرِي وَعِظَمِي
وَيَحْمِلُونِي أَثْقَلَ الْأَحْيَالِ وَيُسَافِرُونَ فِي الْأَسْفَارِ الطُّوَالَ وَيَسْتَعْمِلُونَنِي فِي
الْأَشْغَالِ الشَّاقَةِ أَنَا أَلَيْلٍ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ. وَإِذَا كَبُرْتُ وَشِخْتُ أَوْ
أَنْكَسَرْتُ. فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُنِي لِلْجَزَارِ فَيَذْبَحُونِي وَيَبِيعُ جِلْدِي
لِلدُّبَاغِينَ وَلِحَبِييِ الطُّبَاخِينَ. وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أَقَاسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ: فَقَالَ لَهُ
الشَّيْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ؟ فَقَالَ: فَارَقْتُهُ وَقْتُ الْغُرُوبِ. وَأَظُنُّهُ
بِأَيِّ عِنْدَ أَنْصَرَفِي. فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلْبِي. فَدَعَنِي يَا ابْنَ السُّلْطَانِ
حَتَّى أَهْجُ فِي الْبَرَارِ وَالْقِفَارِ: فَقَالَ الشَّيْلُ: تَهْمَلُ قَلِيلًا يَا جَبَلُ. حَتَّى تَنْظُرَ
كَيْفَ أَقْدَرِسُهُ وَأَطْعِمَكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْمِمَّ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ: فَقَالَ
لَهُ الْجَبَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ. أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ

مَا كَرِهْتُ . ثُمَّ أُنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ النَّفِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ قَمًا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّجُلِ
فَيْنَمَا أَجْمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْلِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا يَغْبِرَةُ طَلَعَتْ .
وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَفِيقِ الْبَشَرِ . عَلَى كَيْفِهِ مَقْطَعٌ فِيهِ
عُدَّةُ تَجَارٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَمِائَةُ الْوَلَجِ . وَبِيَدِهِ أَقْفَالُ صِغَارٍ . وَهُوَ
يَهْرُولُ فِي مَشْيِهِ . وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرُبَ مِنَ الشَّيْلِ . فَلَمَّا رَأَيْنَهُ يَا أَخِي .
وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ . وَأَمَّا الشَّيْلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَنَمَشَى إِلَيْهِ وَلَا قَاهُ . فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ التَّجَارُ فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ لَهُ يَلَسَانِ قَصِيجٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
الْجَلِيلُ . صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيلِ . أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَافِكَ وَمَسْعَاكَ . وَزَادَ فِي
شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ . أَجَرَنِي مَا دَهَانِي . وَبَشَّرَهُ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي
نَصِيرًا غَيْرَكَ : ثُمَّ إِنَّ التَّجَارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ وَبَكَى . وَلَنْ وَأَشْتَكِي .
فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ بَكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ . قَالَ لَهُ : أَجَرْتُكَ مَا تَخْشَاهُ . فَمَنِ الَّذِي قَدْ
ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا الْوَحْشُ . الَّذِي مَا رَأَيْتُ غَيْرِي مِنْكَ .
وَلَا أَحْسَنَ صُورَةٍ . وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ : فَقَالَ لَهُ التَّجَارُ :
بَاسِيَدَ الْوُحُوشِ : أَمَّا أَنَا فَتَجَارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ آتَبُ أَكْهَمَ وَفِي
صَبَاحِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ مِنَ التَّجَارِ
هَذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الصُّبَاةُ فِي وَجْهِهِ بِالظُّلَامِ . وَشَخَّرَ وَنَخَّرَ وَارْتَمَتْ
عَيْنَاهُ بِالشَّرِّ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا
أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ إِنَّ الشَّيْلَ أَلْفَتَ إِلَى التَّجَارِ وَقَالَ
لَهُ : لِي أَرَى خُطْوَاتِكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِيرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ . لِأَنِّي خَوْفُوقٌ .

وَأَطْنُ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ ثَمَانِي الْوُحُوشَ . فَأَخْبَرَنِي إِلَى آيِنَ تَذْهَبُ : فَقَالَ
لَهُ التَّجَارُ : أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ إِلَى وَزِيرٍ وَالِدِكَ الْفَهْدُ . لِأَنَّهُ لَهَا بَلَّغُهُ أَنْ آيِنَ
أَكْمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضِ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَارْسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا
مِنَ الْوُحُوشِ لِأَصْنَعُ لَهُ يَنْتَا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى
لَا يَبْصُلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَكْمَ . فَلَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ أَخَذْتُ هَذِهِ الْأَلْوَاجَ
وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبُ كَلَامَ التَّجَارِ . أَخَذَهُ التَّحْسَدُ لِلْفَهْدِ . فَقَالَ
لَهُ : يَحْيَانِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاجَ يَنْتَا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ يَنْتَا .
وَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ شُغْلِي فَأَمْنُصْ إِلَيَّ الْفَهْدَ وَأَصْنَعْ لَهُ مَا يَرِيدُ : فَلَمَّا سَمِعَ التَّجَارُ
مِنَ الشَّيْبِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ : مَا أَفِيدُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ
شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يَرِيدُ . ثُمَّ أَجِبْتُ إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ يَنْتَا
بِحَصْنِكَ مِنْ عَدُوِّكَ : فَقَالَ لَهُ الشَّيْبُ : وَاللَّهِ مَا أَخْلَيْكَ تَرُوحُ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاجَ يَنْتَا : ثُمَّ إِنَّ الشَّيْبَ هَمَّ عَلَى التَّجَارِ وَوَتَبَ
عَلَيْهِ . وَلَمَّا دَانَ بَنَزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ يَدُهُ فَرَمَى الْبِنْتُطَفَ مِنْ عَلَى كَيْفِهِ وَوَقَعَ
التَّجَارُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا تَجَارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ
وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْنُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنْ آيِنِ أَكْمَ : فَلَمَّا وَقَعَ التَّجَارُ عَلَى
ظَهْرِهِ . اتَّخَاظَ غَيْطًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ كَتَمَ ذَلِكَ عَنِ الشَّيْبِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ .
فَقَعَدَ التَّجَارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ : ثُمَّ
إِنَّ التَّجَارَ تَنَاوَلَ الْأَلْوَاجَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَنَمَرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ الْقَالِبِ
عَلَى فِياسِ الشَّيْبِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ
طَافَةَ كَيْدَةٍ وَجَعَلَ لَهَا غَيْطًا كَبِيرًا وَنَقَبَ فِيهِ ثُنْبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا

مَسَامِيرَ مُطَرَفَةٍ وَقَالَ لِلشَّيْبِلِ: ادْخُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى
أَقِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ الشَّيْبِلُ بِذَلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَأَاهَا ضَيِّقَةً.
فَقَالَ لَهُ التَّجَارُ: ادْخُلْ وَابْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ الشَّيْبِلُ ذَلِكَ
وَدَخَلَ الصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنْبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ الشَّيْبِلُ أَنْ يَنْأَخِرَ
إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ التَّجَارُ: أَهْمِلْ وَاصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ بَسَعَ ذَنْبُكَ
مَعَكَ: فَأَمْتَلِ الشَّيْبِلُ أَمْرَهُ. ثُمَّ إِنَّ التَّجَارَ لَفَ ذَنْبَ الشَّيْبِلِ وَحَشَاهُ فِي
الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمِعَهُ. فَصَاحَ الشَّيْبِلُ قَائِلًا:
يَا تَجَارُ مَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ التَّجَارُ:
هَيْهَاتَ. هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ:
ثُمَّ ضَحِكَ التَّجَارُ وَقَالَ لِلشَّيْبِلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي النَّفْسِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ
مِنْ ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ يَا أَخِي! أَخْبَتِ الْوُحُوشُ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هَذَا الْخُطَابُ الَّذِي
تُخَاطِبُنِي بِهِ: فَقَالَ لَهُ التَّجَارُ: أَعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ. إِنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ
تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدَرُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ التَّحَدُّرُ: فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبِلُ كَلَامَهُ
بِأَخِي عِلْمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَرَهُ مِنْهُ أَبَوُهُ فِي الْبَيْتَةِ وَالْهَائِفُ فِي
الْمَنَامِ. وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَاشِكٍ وَلَا رَيْبَ وَخَشْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّيْبِلِ. فَرَأَيْتُ يَا أَخِي
أَنْ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالتَّقَرُّبِ مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي فِيهِ
الشَّيْبِلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْحُطْبَ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ. فَكَبَّرَ
يَا أَخِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ
فَلَمَّا سَمِعْتَ الطَّائُوسَةَ مِنَ الْبَيْتَةِ هَذَا الْكَلَامَ. تَجَبَّتُ مِنْهُ غَايَةَ الْعَجَبِ.

وَقَالَتْ: يَا أَخِي، إِنَّكَ آئِنَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ. لَأَنَّا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ
الْبَحْرِ. لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلَكٌ. فَأَخْبَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ
اللَّهُ أَمْرَكَ وَأَمُرَنَا: قَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ. وَالنِّصَاءُ لَا يَنْفَكُ
عَنْهُ أَبَدًا: فَقَالَتْ: أَقْعِدِي عِنْدَنَا. وَأَنْتِ مِثْلُنَا: وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ
وَقَالَتْ: يَا أَخِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ فَلَمَّا صَبَرِي. وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكَ هُنَا مَا كُنْتُ
قَعَدْتُ: فَقَالَتْ الطَّائِفَةُ: إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ. وَإِنْ كَانَ
هَذَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُجْلِسُنَا. وَلَنْ نَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا: فَبَيْنَمَا
هِيَ فِي هَذَا الْكَلَامِ. إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبُطَّةُ
وَنَزَلَتْ فِي الْبَحْرِ. وَقَالَتْ: الْحَذَرُ الْحَذَرُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْرٌ مِنَ النَّصَاءِ
وَالْقَدَرِ: فَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ. وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَنِي. فَاطْمَأَنَّتِ
الْبُطَّةُ وَالطَّائِفَةُ. ثُمَّ قَالَتْ لِلْبُطَّةِ: يَا أَخِي إِنْ الَّذِي نَصَرْتِ وَحَذَرْتِ
مِنْهُ ظَنِي وَهِيَ هِيَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا. فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ. لِأَنَّ الظَّنِّيَ إِنَّمَا
يَأْكُلُ الْحَشَائِشَ مِنَ نَبَاتِ الْأَرْضِ. وَكَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ. هُوَ الْآخَرُ
مِنْ جِنْسِ الْوُحُوشِ. فَاطْمَأَنَّي وَلَا تَهْتَبِي. فَإِنَّ أَلَمَ يُخْلُ الْبَدَنَ: فَلَمْ تَيْمِ
الطَّائِفَةُ كَلَامَهَا. حَتَّى وَصَلَ الظَّنِّيُّ إِلَيْهَا. بَسْطَ ظِلُّهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ.
فَلَمَّا رَأَى الطَّائِفَةُ وَالْبُطَّةُ سَلَمَ عَلَيْهَا. وَقَالَ لَهَا: إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَرِ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكِنًا: ثُمَّ دَعَاَهَا
لِيُرَافِقَنِي وَمُصَافَاتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْ الْبُطَّةُ وَالطَّائِفَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهَا أَقْبَلَتَا
عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ. فَتَصَادَفُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ. وَصَارَ مِنْهُمْ وَاحِدًا.
وَمَا كَلَّمَهُمْ وَمَشَرَهُمْ سَوَاءً وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ آسِلِينَ شَارِيِينَ حَتَّى مَرَّتْ يَوْمَ

سَفِينَةٍ كَانَتْ تَاجِمَةً فِي الْبَحْرِ . فَأَرَسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ النَّاسُ وَنَظَرُوا فِي
الْجَزِيرَةِ . فَرَأَوْا أَجْنَاعَ الظُّنِيِّ وَالطَّائِوُوسَةِ وَالْبَطَّةَ قَافِلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ
الطَّائِوُوسَةُ صَعِدَتْ إِلَى الْجَبْرِ . ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوِّ وَشَرَدَ الظُّنِيُّ فِي الْبَرِّيَّةِ
فَنَقِيتِ الْبَطَّةُ مَحْبَلَةً . وَلَمْ يَزَلُوا بِهَا حَتَّى صَادُواهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً : لَمْ يَنْفَعْنِي
التَّحْدِثُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقُدْرَةِ . وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الطَّائِوُوسَةُ
مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ . أَرْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ : لَا أَرَى إِلَّا فَاتٍ إِلَّا مُرَاصِدَةً
لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْ لَا هَذِهِ السَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْبَطَّةِ افْتِرَاقٌ . وَلَقَدْ
كَانَتْ مِنْ خِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ . ثُمَّ طَارَتْ الطَّائِوُوسَةُ وَاجْتَمَعَتْ بِالظُّنِيِّ .
فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّاهَا بِالسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ الْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا الْعُدُوُّ
وَكَرِهْتُ الْمَقَامَ فِي ذَلِكَ الْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا . ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ
قَوْلَ :

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ
ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هَذَا الْبَيْتَ :

تَبَيَّنْتُ الْوِصَالَ بَعْدَ يَوْمَا لِأَخِيهِ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ
فَاغْتَمَّ الظُّنِيُّ غَمًّا شَدِيدًا . ثُمَّ عَزَمَ الطَّائِوُوسَةُ عَنِ الرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ
الظُّنِيِّ آمِنِينَ أَكَلِينَ شَارِبِينَ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَلَا حَزِينِينَ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ .
فَقَالَ الظُّنِيُّ لِلطَّائِوُوسَةِ يَا أَخِي . قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنْ
الْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ الْبَطَّةِ فَأَحْذَرِيهِمْ وَأَخْشِي مِنْهُمْ وَمِنْ
مَكْرِ بَنِي آدَمَ وَخِدَاعِهِ . قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ مَا قَعَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا التَّسْبِيحَ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ تَرْكِكَ التَّسْبِيحَ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

اللَّهُ يُسَبِّحُهُ. فَإِنْ غَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ: فَلَمَّا سَمِعَ الظَّنِّي كَلَامَ
الطَّائِوُسَةِ قَالَ: أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكَ وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَفْتَرِعُهُ سَاعَةً.
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَسْبِيحَ الظَّنِّي: سُجَّانَ الدِّيَّانِ ذِي الْجَبُرُوتِ وَالسُّلْطَانِ
حِكَايَةُ الطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُورِ طَارَ وَعَلَا إِلَى الْجَوْ. ثُمَّ أَتَفَضَّ عَلَى صَخْرَةٍ
فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا. فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَقَفَ إِذَا هُوَ بِرِمَّةٍ
لِإِنْسَانٍ جَرَّهَا إِلَيْهَا حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدْ ائْتَلَفَتْ وَلَزَنَتْ.
فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَأَاهَا رِمَّةً أَبْنَى أَكْثَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ
سُيُوفٍ وَطَعَنَ رِمَاحٍ. فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي نَفْسِهِ: أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ
كَانَ شَرِيرًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَفَتَلُوهُ وَأَسْرَأُوا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ: وَلَمْ يَزَلْ
طَيْرُ الْمَاءِ حَايِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِسُورٍ وَعِيقَابٍ
أَحَاطُوا بِتِلْكَ الْخَيْفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَرَعَ
جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْإِفَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ. ثُمَّ طَارَ مِنْهُ
يُفَتِّشُ عَلَى مَوْضِعٍ بَلَوِيهِ إِلَى حَيْثُ تَنَفَّذَ تِلْكَ الْخَيْفَةُ وَتَرَوُّحَ سِبَاعِ الطُّيُورِ
عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسْطِهِ شَجَرَةً. فَتَلَّ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا
كَيْبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا زِلْتُ الْأَحْزَانُ تُتَبِعُنِي
وَكُنْتُ قَدْ اسْتَرَحْتُ لَهَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْخَيْفَةَ وَفَرَحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا
وَقُلْتُ: هَذَا رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيَّ. فَصَارَ فَرَحِي غَمًّا وَسُرُورِي حَزَنًا وَهَمًّا.
فَأَخَذْتُهَا وَأَقْرَسْتُهَا سِبَاعَ الطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا. فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ
أَكُونَ سَالِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالطَّمَعِ فِيهَا. وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ:

الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ . يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِهَالِهِ
وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَلَمْ يَنْزِلِ الْمَغْتَرُّ بِهَا رَاحِصًا إِلَيْهَا يُخْتَالُ فَوْقَ الْأَرْضِ
حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَخْوَ عَلَيْهِ الثَّرَابُ أَعَزُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لِنَفْسِي
خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ
كَارِهَا يَفْرِقُهُ إِخْوَانِي وَأَجْبَاهِي وَخُلَايَايَ

فَيَنْتَهَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ . إِذَا يَذْكُرُ مِنَ السَّلَاحِ أَقْبَلَ مُتَحَدِّراً فِي الْمَاءِ
وَدَنَا مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَبَّبَكَ وَأَبْعَدَكَ
عَنْ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُلُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ
عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ

إِذَا حَلَّ الْغَيْلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَأَمَّا لِلْسَّائِكِينَ سِوَى الرَّجُلِ
فَقَالَ لَهُ الْغَيْلُ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَأَحَالَ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا
لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَفَارِقُكَ لِأَفْضِي لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِي بِحَدِّمَتِكَ .
فَإِنَّهُ قِيلَ : لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ .
وَقَدْ قِيلَ : إِنْ فُرْقَةُ الصَّالِحِينَ لَا بَعْدَ لَهَا شَيْءٍ مِنَ الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا
يُسَلَّى بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الْأَسْتِئْثَاسُ فِي الْغُرْبَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزْيَةِ وَالْكُرْبَةِ .
وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ . وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا : فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ
الْمَاءِ مَنَالَ الْغَيْلِ . قَالَ لَهُ : لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعْبَرِي إِنِّي وَجَدْتُ
لِلْغِرَاقِ الْمَاءَ وَغَمًّا مَدَّةً بَعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَايَايَ لِأَنَّ فِي
الْغِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنْ أَعْيَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَحْدِثْ لِنَفْسِي مِنْ بُسْلِيهِ مِنَ
الْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ التَّخَيُّرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ الشَّرُّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا

التَّسْلِي يَا إِخْوَانِ عَنِ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَمُلاَزِمَةُ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ .
فَإِنَّهُمَا خَصَلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ . يُعِينَانِ عَلَى الْمَصِيبَةِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَيُدْفَعَانِ
الْفَرَجَ وَالْخُرُوجَ فِي كُلِّ أَمْرٍ : فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ : إِيَّاكَ وَالْخُرُوجَ . فَإِنَّهُ يَفْسِدُ عَلَيْكَ
عَيْشُكَ . وَيُذْهِبُ مَرْوَتَكَ . وَمَا زَالَ يُحَدِّثَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا . إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ
الْمَاءِ لِلْغَيْلَمِ : أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ الْحَدَثَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ
الْغَيْلَمُ مَثَالَ طَيْرِ الْمَاءِ . أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ
الطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي سُورَتِكَ الْخَيْرَ . فَكَيْفَ تَحْبِلُ أَلَمَ وَالضَّرِيرَ :
وَلَمْ تَزَلْ تُسَكِّنُ رَوْعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ . ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ الْمَاءِ طَارَ إِلَى
مَكَانٍ أُنْجِفَةٍ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ . لَمْ يَرِ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا . وَلَا مِنْ نِتْلِكَ
الْأُنْجِفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَخَبَرَ الْغَيْلَمَ بِزَوَالِ الْعَدُوِّ مِنْ مَكَانِهِ . وَقَالَ لَهُ :
لَعَلَّ أَنْيَ أَحِبُّ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي . لِأَتَمْلَى بِخِلَافِي . فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى
فِرَاقِ وَطَنِهِ : فَأَتَيْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَلَمْ يَحِدَا شَيْئًا عَمَّا بَخَّافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ
طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ :

وَلَرُبَّ نَارٍ لَهْ يَضِيقُ لَهَا الْفَقَى خَرَعَا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَمَكَّتْ حَلَقَاتُهَا فَرِحَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُخْرَجُ
ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي نِتْلِكَ الْخُرَيْرِ . فَيَيْنَا طَيْرُ الْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ . إِذَا سَاقَ
الْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَارِيًا جَائِعًا . فَضَرَبَهُ بِخِلْبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً فَقَتَلَهُ . وَلَمْ يَغْنِ
عَنْهُ الْخُدْرُ عِنْدَ فَرَاحِ الْأَجَلِ . وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ عَنِ التَّنَسُّجِ . فَبَلَغَتْ
تَسْبِيحُهُ . سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدَّرَ وَدَبَّرَ . سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَى وَأَفْقَرَ . هَذَا
مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ

٧٣٠
الدَّرَاجُ وَالسَّلَاحُ

وَهُوَ مَثَلٌ مِنْ رِضْيِ يَالْلَذَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهَلْكَ

حُكِّيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ
ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَنْمَارٍ وَأَنْهَارٍ. فَأَتَقَفَ أَنَّ دُرَّاجًا أَجْنَارَ بِهَا يَوْمًا. وَقَدْ أَصَابَهُ
الْحَرُّ وَالْتَعَبُ. فَلَمَّا أَضْرَبَهُ ذَلِكَ. حَطَّ مِنْ طَبَرَانِهِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي
بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ. فَلَمَّا رَأَى السَّلَاحِفَ أَتَجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا.
وَكَانَتْ السَّلَاحِفُ تَزْعَى فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ. ثُمَّ تَرَجَّعَ إِلَى مَكَانِهَا. فَلَمَّا
رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا. رَأَتْ الدَّرَاجَ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا.
وَزَيَّنَتْهُ اللَّهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا. وَأَحْبَبَتْ هَذَا الدَّرَاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ
بِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّيُورِ. فَصَارَتْ
كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَيَتَمَجَّحُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْهَيْبَةِ. مَالَ إِلَيْهَا وَأَسْتَأْنَسَ
بِهَا. وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيْ جِهَةٍ أَرَادَ. وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَيْتِ عِنْدَهَا.
فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ. يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ. وَلَسْتَهَرَّ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا.
وَتَحَنَّنَتْ أَمَّا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ. وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ جَائِرًا. وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ
زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ. قَالَ بَعْضُهَا: إِنَّ هَذَا الدَّرَاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا.
وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ. فَمَا يَكُونُ مِنَ الْحِيلَةِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا
دَائِمًا. لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ. يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ. وَلَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ. فَأَشَارَتْ
عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً: اسْتَرْخِي. يَا أَخَوَاتِي. وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُقَارِئُنَا طَرَفَةً عَيْنٍ.
فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ: إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنَّا لَكَ كُلَّنَا عَيْدًا

فَلَمَّا حَضَرَ الدُّرَّاجُ مِنْ مَسَرِّحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهَا. تَقَرَّبَتْ مِنْهُ السُّلْحَنَةُ
 الْخُفَاءُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاتُهُ بِالسَّلَامَةِ. وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
 رَزَقَكَ مِنَّا الْحَبَّةَ وَكَذَلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا وَصَرَتْ لَنَا فِي هَذَا الْفَرِيسَا
 وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ الْحَيَاتِ إِذَا كَانُوا مُجْتَمِعِينَ وَالْبَلَاءُ الْعَظِيمُ فِي الْبُعْدِ
 وَالْفِرَاقِ. وَلِكِنَّكَ تَتَرَكُّمَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمْ تُعَذِّبْنَا إِلَّا عِنْدَ الْغُرُوبِ
 فَبَصِيرُ عَيْنِنَا وَخَشَّةُ زَائِدَةٌ. وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجَدٍ
 عَظِيمٍ بِهَذَا السَّبَبِ: فَقَالَ لَهَا الدُّرَّاجُ: نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكِنَّ وَاشْتِيَاقًا
 عَظِيمًا إِلَيْكَ زِيَادَةً عَلَى مَا عِنْدَكُنَّ وَفِرَافِكُنَّ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي. لَكِنْ مَا
 يَبْدِي حِيلَةً فِي ذَلِكَ لِكُونِي طَبِيرًا بِأَخِيخَةٍ فَلَا يُهْكِنِي الْمَقَامُ مَعَكُمْ دَائِمًا.
 لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبِيعِي. فَإِنَّ الطَّبِيرَ ذَا الْأَخِيخَةِ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ
 لِأَجْلِ النَّوْمِ. وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ وَسَرَحَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ: فَقَالَتْ لَهُ
 السُّلْحَنَةُ: صَدَقْتَ. وَلَكِنْ ذُو الْأَخِيخَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لَا رَاحَةَ لَهُ لِكُونِهِ
 لَا يَنَالُهُ مِنَ الْخَيْرِ رُبْعٌ مَا يَحْضُلُ لَهُ مِنَ الْمُسْقَةِ. وَغَايَةُ الْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ
 الرِّفَاحَةُ وَالرَّاحَةُ. وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ يَتَنَا وَيُنْكَ الْحَبَّةَ وَالْأَلْفَةَ وَنَخْشَى
 عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ. فَتَهْلِكُ وَتُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَا وَجْهِكَ
 فَأَجَابَهَا الدُّرَّاجُ قَائِلًا: صَدَقْتَ. وَلَكِنْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ
 فِي أَمْرِي: فَقَالَتْ لَهُ: أَرَأَيْتَ عِنْدِي أَنْ تَتَيْفَ سَوَاعِدَكَ الَّتِي تَسْرِعُ بِطَيْرَانِكَ
 وَتُعَدُّ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحًا وَتَأْكُلُ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبُ مِنْ شُرْبِنَا فِي هَذِهِ الْمَسْرَحَةِ
 الْكَبِيرَةِ الْأَشْجَارِ الْيَانِعَةِ الْأَثْمَارِ وَتَقِيمُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
 الْخَصِصِ وَتَقْتَنِعُ كُلُّ مَنَا بِصَاحِبِهِ: قَالَ الدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ الرَّاحَةَ

لِنَفْسِهِ. ثُمَّ تَنَفَّ رِيْشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَكْمًا اسْتَخْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلْطَانِ
وَأَسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشَاتُ مَعْنٍ وَرَضِيَ بِاللَّهِ السَّيِّدَةِ وَالطَّرِبِ الزَّائِلِ
فَيَسْنِمَاهُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ. إِذَا بَايَنَ عِرْسٍ قَدْ مَرَّ قَرْمَتُهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ
فَرَأَهُ مُنْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النَّهْوضَ. فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرَحَ
فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ هَذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ: ثُمَّ
دَنَا مِنْهُ ابْنُ عِرْسٍ وَأَفْتَرَسَهُ. فَصَاحَ الدُّرَّاجُ وَطَلَبَ النُّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِ.
فَلَمْ يَجِدْهَا بَلْ تَبَاعَدَنَ عَنْهُ. وَانْكَشَنَ فِي بَعْضِهِنَّ. لَمَّا رَأَى ابْنُ عِرْسٍ
فَإِيضًا عَلَيْهِ. وَحَبِثُ رَأَى ابْنُ عِرْسٍ بَعْدِيَّةً. خَنَفَهُنَّ الْهَكَاءُ عَلَيْهِ. فَقَالَ
لَهُنَّ الدُّرَّاجُ: هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ الْهَكَاءِ: فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَخَانَا. لَيْسَ لَنَا
قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ابْنِ عِرْسٍ: فَحَزِنَ الدُّرَّاجُ عِنْدَ ذَلِكَ. وَقَطَعَ
الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ. وَقَالَ لَهُنَّ: لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ. إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي. حَبِثُ
أَطْعَمْتُكُمْ. وَتَنَفَّتُ أَجْنَحِي أَلَيَّ أَطِيدُ بِهَا. فَأَنَا أَسْتَخِفُّ أَمْلَاكَ لِبَطَاوَعِي
لَكُنَّ. وَلَا أَلُوْمُكُنَّ فِي شَيْءٍ

الْغَالِبُ وَالذَّئِبُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكِيمِهِ. فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارَ
زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْغَالِبِ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا
يَاكُلُونَ. فَيَسْنِمَاهُمْ بِجَوْلَانٍ فِي طَلَبِ ذَلِكَ. إِذَا هُمْ بِمَجْمَلٍ مَيْتٍ. فَقَالُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ: قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا. وَلَكِنْ نَخَافُ أَنْ يَنْبَغِيَ
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ. وَيَبِيلُ الْقَوِيِّ يَفُوتُهُ عَلَى الضَّعِيفِ. فَيَهْلِكُ الضَّعِيفُ
مَتًا. فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكْمًا بِحُكْمٍ يَنْتَنَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا. فَلَا يَكُونُ

لِلْقَوِي سُلْطَةً عَلَى الضَّعِيفِ : فَيَنْتَهِمَا ثُمَّ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذَلِكَ . وَإِذَا
يَذْهَبُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَأَجْعَلُوا هَذَا
الَّذِي تَبَحَكَّمَا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى عَلَى النَّاسِ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا .
وَمَنْ نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَبْدِلَ بَيْنَنَا : ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَأَخْبَرُوهُ بِمَا
صَارَ إِلَيْهِمْ . وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا
مَا يَقُوْنُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ لِيَلَّا يَبْغِيَ قُوْنَنَا عَلَى ضَعِيفِنَا
فَيَهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا : فَاجَابَهُمُ الذِّئْبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَوَعَاظَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا كَفَانَهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ : إِنْ
فَسِمَةُ هَذَا الْجَمَلِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يَبْعُدُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا اتَّخِذْتُ
الَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكَلْتُهُ وَخَدَيْتُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضَرَامَ أَنَّهُمْ غَنَمٌ
لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي . فَمِنْ الَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هَذَا لِلنَّفْسِ . وَلَعَلَّ اللَّهَ مُسِيبُهُ
لِي يَغْيِرَ حِيلَهُ مِنْهُمْ . فَأَلَّحَسَنُ لِي أَنْ أَخْنَصَّ بِهِ خُونَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْوَقْتِ
لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا : فَلَمَّا أَصْبَحَ الثَّعَالِبُ . جَاءُوا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ
قُوْتَهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . آعْطِنَا مَوْتَةَ يَوْمِنَا : فَاجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا
بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ : فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنْ
اللَّهُ أَوْفَعَنَا فِي هَذَا عَظِيمٍ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ الْخَائِثِ . الذِّئْبِ لَا يَنْتَفِي اللَّهُ وَلَا
بِخَافِهِ . وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا
الْأَمْرِ ضَرُورَةُ الْجُوعِ . فَدَعَوْهُ الْيَوْمَ بِأَكْلٍ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ تَذْهَبُ
إِلَيْهِ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . إِنَّمَا وَثَّقْنَاكَ عَلَيْنَا
لِأَجْلِ أَنْ تَذْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوْتَهُ . وَتُنْصِفَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِي . وَإِذَا

فَرَعَ تَجَهِّدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ . وَنَصِيرَ دَائِمًا تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ .
 وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ . وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا . فَأَعْطَا مَوْتَنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ
 جَمِيعِ مَا نَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ خُونٍ ذَلِكَ : فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . بَلْ أَرَادَا
 قَسْوَةً . فَرَاَجَعُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنْتَا
 تَنْطَلِقُ إِلَى الْأَسَدِ . وَتُرِي أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ . وَتَجْعَلُ لَهُ الْجَهْلَ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا
 بَشَيءٍ مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هَذَا الْحَبِيشِ : ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَى
 الْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ الذِّئْبِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ عِيْدُكَ وَقَدْ
 جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِتُخَلِّصَنَا مِنْ هَذَا الذِّئْبِ وَنَصِيرَ لَكَ عِيْدًا : فَلَمَّا
 سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْحُبَّةُ وَغَارَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى
 الذِّئْبِ . فَلَمَّا رَأَى الذِّئْبُ الْأَسَدَ مُقْبِلًا طَلَبَ الْفِرَارَ مِنْ قُدَامِهِ . فَجَرَى
 الْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَمَزَقَهُ فِطْعًا وَمَكَّنَ الثَّعَالِبَ مِنْ فَرَسَنِهِمْ . فَمِنْ هَذَا
 يَنْجُو بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رِعَايَتِهِ

السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ

إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ
 رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ وَكَانَ رَجُلًا قَلِيلَ الْحَالِ بَحِيلَ بِأَجْرَتِهِ عَلَى
 رَأْسِهِ . فَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حِمْلَةً ثَقِيلَةً وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ
 شَدِيدَ الْحَرِّ فَتَعَبَ مِنْ تِلْكَ الْحِمْلَةِ وَغَرِقَ وَكُنْدَ عَلَيْهِ الْحَرُّ . فَهَرَّ عَلَى بَابِ
 رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَامَهُ كَسَسَ وَرَشَّ وَهَنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ
 مَضْطَبَّةٌ عَرِيضَةٌ فَحَطَّ الْحَمَالُ حِمْلَتَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَضْطَبَّةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَسْتَمِ الْهَوَاءَ
 فَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَيْسَمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةُ دُرَّيَّةٍ فَاسْتَلَذَّ الْحَمَالُ لِذَلِكَ

وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ الْمِصْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَغْمَ أَوْتَارٍ وَغُودٍ
وَأَصْوَاتِ مَطَرٍ وَأَنْوَاعٍ أَنْشَادٍ مُغْرِبَةٍ. وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُيُورٍ تَتَغَايَ
وَسَمِعَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَخْلَافِ الْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ اللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِي وَهَزَارٍ
وَسَحَارٍ وَبُلْبُلٍ وَفَاخِثَةٍ وَكَرَوَانٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ
طَرَبًا شَدِيدًا. فَتَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ فَوَجَدَ دَاخِلَ الْبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ
غُلَامًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَبَابًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ.
وَبَعْدَ ذَلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةُ أَطْعَمَةٍ طَيِّبَةٍ ذَكِيَّةٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ
الْمُخْتَلِفَةِ وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ. فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ
يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ
الدُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعُيُوبِ. يَا رَبِّ لَا أَعْرِضْ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ
وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تَغْنِي
مَنْ تَشَاءُ وَتَقْرُمُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَا
أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانُكَ وَمَا أَحْسَنَ تَذْيِيرُكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى مَنْ
تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ. هَذَا الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِالرَّوَائِحِ
اللطيفةِ وَالْمَآكِلِ اللَّذِيَّةِ وَالْمَشَارِبِ الْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَقَدْ
حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِهَا تَرْيِدًا وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ. فَمِنْهُمْ تَعْبَانُ وَمِنْهُمْ مُسْتَرْجِعٌ
وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالذَّلِيلِ. وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكُنْ مِنْ شَيْءٍ بِلَا رَاحَةٍ	يَنْعَمُ فِي خَيْرٍ فِيهِ وَظِلٌّ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ	وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حِمْلِي
وَعِزِّي سَعِيدٌ بِلَا شَفْوَةٍ	وَمَا حَمَلَ الدَّهْرُ بَوْمًا كَحِمْلِي

يَسْطُرُ وَيَعِزُّ وَشَرْبُهُ وَأَكْلُهُ
وَكُلُّ الْحَلَايِفِ مِنْ نُطْفَةٍ
وَلَكِنْ شَتَانِ مَا يَتَنَفَّسُ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْتِرَاءً
يَسْطُرُ وَيَعِزُّ وَشَرْبُهُ وَأَكْلُهُ
أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَيْفِي
وَشَتَانِ مَا يَتَنَفَّسُ
فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلٍ

فَلَمَّا فَرَغَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالَ مِنْ شَعْرِهِ وَنَظَّيْهِ أَرَادَ أَنْ يَجْهَلَ حِمْلَتَهُ وَيَسِيرَ
إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ السِّنِّ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِيحُ الْقَدْرِ
فَآخِرُ الْمَلَابِسِ. فَتَبَسَّ عَلَى يَدِ الْحَمَالِ وَقَالَ لَهُ: أَذْخُلُ كَلِمَ سَيِّدِي فَإِنَّهُ
يَدْعُوكَ. فَأَرَادَ الْحَمَالُ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ فَلَمْ يَهْتَبِرْ عَلَى ذَلِكَ
فَحَطَّ حِمْلَتَهُ عِنْدَ الْبُؤَابِ فِي دِهْلِيزِ الْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الْبَلَدِ
فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ. وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ
مِنْ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ
أَصْنَافِ الْمَشْهُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النَّفْلِ وَالنَّوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
الْأَطْعِمَةِ النَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ
السَّبَاعِ وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْإِحْسَانِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى
حَسَبِ التَّرْتِيبِ. وَفِي صَدْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُخْتَرَمٌ قَدْ لَكِنُ
الشَّيْبِ فِي عَوَازِيهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ
وَأَفْخَارٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتْ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا
الْمَكَانَ مِنْ نَعَمِ الْجَنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ
وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنْكَسُ
الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ. فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ

وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيَرْحَبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ
الْمُفْتَحِرِ الطَّيِّبِ النَّفِيسِ . فَقَدَّمَ السَّنْدَبَادُ الْحَمْلَ وَسَمَّى وَكَلَّ حَتَّى أَكْتَفَى
وَشَبِعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ : ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ : مَرَحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ . فَأَبْكُونُ أَسْمَكَ .
وَمَا تُعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَسْمَى السَّنْدَبَادُ الْحَمْلَ وَأَنَا أَخِلُّ
عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأَجْرِ : فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : أَعَلَمْ
بِأَحْمَالٍ أَنَّ أَسْمَكَ مِثْلُ أَسْمَى . فَأَنَا السَّنْدَبَادُ الْبُحْرِيُّ وَلَكِنْ يَا حَمَلُ قَصِيدِي
أَنْ تُسَمِعَنِي الْآيَاتِ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ : فَاسْتَجَى الْحَمْلُ
وَقَالَ لَهُ : يَا اللَّهُ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقَلَّةَ مَا فِي الْبَدَنِ يُعَلِّمُ
الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْآدَابِ وَالسَّغَةَ : فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْخَرْ فَإِنَّتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدِ
الْآيَاتِ فَإِنَّمَا أُعْجِبْتَنِي لَمَّا سَمِعْتُمَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ : فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَنْشَدَ الْحَمْلُ نِلَكَ الْآيَاتِ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ لَهُ :
بِأَحْمَالٍ أَعَلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةَ عَجِيبَةٍ وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِمَجْمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى
لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي
فِيهِ . فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ
وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ . وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ
وَالنَّصَبِ . وَقَدْ سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُخَوِّرُ الْفِكَرَ
السَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلْسَّنْدَبَادِ الْبُحْرِيِّ
إِذْ عَلِمُوا بِإِسَادَةِ بَاكِرَامُ . أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنَ الْكَبِيرِ النَّاسِ

وَالْتِجَارِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَتَوَالَ جَزِيلٌ . وَقَدْ مَاتَ وَالِدُنَا وَلَدٌ
صَغِيرٌ وَخَلَفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِياعًا . فَلَمَّا كَثُرَتْ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى
الْجَمِيعِ . وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرَبْتُ شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ
وَتَجَمَّلْتُ بِلِبْسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ الْخُلَّانِ وَالْأَصْحَابِ وَأَعْتَقَدْتُ أَنَّ
ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَفْتَتُ
مِنْ غَفْلَتِي . ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ إِلَى عَنَافِي فَوَجَدْتُ مَا لِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ .
وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْغُوبٌ مَذْهُوشٌ
وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةَ كُنْتُ أَسْمَعُهَا سَائِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ
بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةُ خَيْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ يَوْمٍ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ
يَوْمِ الْوِلَادَةِ . وَكُلُّ حَيٍّ خَيْرٌ مِنْ سَبْعٍ مَيِّتٍ . وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . ثُمَّ
إِنِّي قُمْتُ وَجَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارٍ وَمَلْبُوسٍ وَبَعْتُهُ ثُمَّ بَعْتُ عَقَارِي
وَجَمِيعَ مَا تَمَلَّكَتُ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي السَّفَرُ
إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ حَيْثُ قَالَ :

يَقْدِرُ الْكَدُّ نَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
يُغْوِصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ الْأَلَاكِي وَيَحْطِى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْحَالِي

فَاسْتَأْنَفْتُ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالتِّجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَاشْتَرَيْتُ لِي بَضَائِعَ
نَيْسَةَ فَاخِرَةَ تَضَلُّحَ الْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ بَغْدَادَ إِلَى
مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تِجَارٌ وَكَأْثَرُ وَمَعَهُمْ بَضَائِعُ نَيْسَةَ
فَنَزَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَسَرْنَا بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ

تَزَلُّ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ
وَنَشْتَرِي وَنَتَفَرِّجُ عَلَى بِلَادِ النَّاسِ . وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعْدُ وَالسُّفَرُ وَأَغْنَيْنَا
الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا سَائِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَئِيسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ
وَصَاحَ وَرَمَى عِمَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَتَنَفَّ لِحَبْنَةٍ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ
مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ وَالْقَهْرِ . فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْيَحَارِ وَالرُّكَّابِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا رَئِيسُ
مَا أَخْبَرُ ؟ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ الرَّئِيسُ : أَعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ إِنَّا قَدْ هِنَا بِهَرَكِنَا وَخَرَجْنَا
مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَجَلْنَا بِحُجْرٍ أَلَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يَبْقُضِ اللَّهُ لَنَا
شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا يَا جَمْعُنَا لَا حِمَاةَ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَنَا
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ إِنَّ الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَارَادَ أَنْ
يَجْلُ الْفُلُوعَ فَنَوِي الرِّجْ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُوْخَرِّهَا فَانْكَسَرَتْ دَفْنُهَا
قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ . فَذَلَّ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَنْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَسْمَعَ الْمَقْدُورَ . وَاللَّهُ إِنَّا قَدْ وَقَعْنَا فِي
مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ : فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفِرَاقِ أَعْمَارِهِمْ وَأَنْفَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ
عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتِ الْوُحَاةُ . فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ
وَوَقَعَ الْيَحَارُ فِي الْبَحْرِ . فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَكَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ
وَطَلَعَ عَلَيْهِ . وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَثِيرَةٌ
عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِبِ الْمَكْسُورَةِ . وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَائِبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَغَرِقَ رُكْبَانُهَا . وَفِيهَا شَيْءٌ
كَثِيرٌ يُحِيرُ الْعُقَلَّ وَالْفِكَرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى

جَوَانِبَهَا فَمِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَتْ أَعْلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَمَشَيْتُ فِيهِ فَرَأَيْتُ فِي
وَسَطِهَا عَيْنَ مَا عَذِبَ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي
آخِرِهِ مِنَ الْجَانِبِ الثَّلَاثِي . فَمِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذَلِكَ
الْجَبَلِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَأَنْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عُيُوبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَصَادُوا
مِثْلَ الْحَبَانِينَ مِنْ كَثَرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَمْنَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى
سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْيَوَاقِيتِ وَالْأَلْيَةِ الْكِبَارِ الْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الْحَصَى فِي
تَجَارِي الْمَاءِ فِي نِلِّكَ الْبَيْطَانِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثَرَةِ مَا
فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْتُ شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْوُدِ
الصِّينِيِّ وَالْوُدِ الْقَمَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِئَةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَنْبَرِ
الْحَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ الشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ
وَيَتَدُّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَتَطْلُعُ الْمَوَاشِ مِنْ الْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي الْبَحْرِ
فَيَحْمِي فِي بَطُونِهَا فَتَقْدِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَحْمِدُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ . فَمِنْدَ
ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ
السَّيَّاحُونَ وَالتَّجَارُ الَّذِينَ يَبْرُقُونَهُ فَيَمِيمُونَهُ . وَأَمَّا الْعَنْبَرُ الْحَامُ الْخَالِصُ مِنْ
الْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَحْمِدُ بِأَرْضِهِ . وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ
الشَّمْسُ يَسْجُ وَتَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةٌ ذَلِكَ الْوَادِي كُلِّهِ مِثْلُ الْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ
عَنْهُ الشَّمْسُ يَحْمِدُ . وَذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَنْبَرُ الْحَامُ لَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكُهُ . فَإِنَّ الْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَلَا
يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَلَمْ تَزَلْ دَائِرَتِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ

تَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَتَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيهَا
تَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْخَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ
الزَّادِ فَصَرْنَا نُوفِرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَتَحْنُ
خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ الزَّادُ مِنَّا فَتَمُوتَ كَمَا مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ
مَاتَ مِنَّا نَفْسِلُهُ وَنَكْفِيهِ فِي ثِيَابٍ وَقَاسٍ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ
الْخَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ. فَضَعْنَا يَوْجَعَ
الْبَطْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مَدَّةً قَلِيلَةً فَأَتَتْ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرُقَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ
وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَذَفْنَاهُ. وَبَقِيَْتُ فِي تِلْكَ الْخَزِيرَةِ وَخَدِيدِي وَبَقِيَ
مَعِيَ زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ
رُقَقَائِي وَكَانُوا عَسَلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ:
ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مَدَّةً بِسِيرَةٍ وَقُمْتُ حَزَنْتُ لِنَفْسِي حُزْنَ عَيبَةٍ فِي جَانِبِ
تِلْكَ الْخَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ
فِي هَذَا الْقَبْرِ قَامُوتٌ فِيهِ وَيَبْقَى الرِّيحُ يُسْفِي الرَّمْلَ عَلَيَّ فَيَغْطِيَنِي وَأَصِيرُ
مَدْفُونًا فِيهِ. وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى فِلَةٍ عَفَلِي وَخُرُوجِي مِنْ بِلَادِي وَمَدِينَتِي
وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي قَاسَمْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا.
وَلَا سَفَرَةَ مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأَقَامِي أَهْوَالًا وَشَدَائِدَ أَشَقِّ وَأَضْعَبَ مِنَ
الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أَصْدَقُ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنْ السَّفَرِ فِي
الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ. وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَالَّذِي
عِنْدِي لَا أَفِدُرُ أَنْ أَفْنِيَهُ وَلَا أَضِيعَ نَفْسَهُ فِي بَاقِي عُيُرِي. وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي
وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا بَدَأَ أَنْ هَذَا النَّهْرُ لَهُ أَوَّلٌ

وَأَخْرَجُونَا مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعَمَارِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ عِنْدِي أَنِّي
أَعْمَلُ لِي فُلْكَأَ صَغِيرًا عَلَى قَدَرٍ مَا أَجَاسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هَذَا النَّهْرِ
وَأَسِيرُ بِهِ. فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلَصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ
أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ
أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ إِنِّي قُتِلْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصِّبْيِ وَالْقَمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِجِبَالٍ مِنْ
جِبَالِ الْمَرَكَبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَجِئْتُ بِالْوَاكِحِ مَتَسَاوِيَةٍ مِنَ الْوَاكِحِ الْمَرَكَبِ
وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ الْحَشَبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهْرِ
أَوْ أَقْلٍ مِنْ عَرْضِهِ. وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَيِّبًا مَكِينًا. وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ مِنْ تِلْكَ
الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَاللُّؤْلُؤِ الْكَثِيرِ الَّذِي مِثْلُ الْحَصَى وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَقِيقًا مِنَ الْعَنْبَرِ الْخَامِ الْخَالِصِ الطَّيِّبِ
وَوَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ الْفُلْكَ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ
مَعِيَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ الزَّادِ. ثُمَّ إِنِّي أَلْقَيْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ فِي هَذَا النَّهْرِ
وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ الْعَجَائِفِ وَعَمِلْتُ يَقُولُ بَعْضُ
الشُّعَرَاءِ

وَحَلَّ الْكُرْتَعَى مِنْ بَنَاهَا	فَرَحَلَ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضِمٌّ
وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا	فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ
فَكُلُّ مُصِيبَةٍ بَأَنِي أَتْنَاهَا	وَلَا تَجْزَعُ لِحَادِثَةِ اللَّبَائِي
فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا	وَمَنْ كَانَتْ مَبِيتُهُ بِأَرْضٍ
فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا	وَلَا تَبْعَثُ رَسُولَكَ فِي مَهْمٍ

وَسَرْتُ بِذَلِكَ الْفُلْكَ فِي النَّهْرِ وَأَنَا مَتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي . وَلَمْ
أَزَلْ سَائِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ
الْفُلْكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي ظِلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَلَمْ
يَنْزِلِ الْفُلْكَ دَاخِلًا بِي مَعَ الْمَاءِ إِلَى صَفِيحٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَانِبُ
الْفُلْكَ تَحْكُ فِي جَوَانِبِ النَّهْرِ وَرَأَيْتُ بِحُكِّي فِي سَفْهِ النَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى
إِنِّي أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لَمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
عَلَى الْفُلْكِ فَلْأَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلِكُ فِي الْمَكَانِ كَمَا يَلَا
مَحَالَهُ . وَقَدْ أَنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِ فِي الْفُلْكِ مِنْ صَفِيحِ النَّهْرِ . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا
وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ
الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنْ أَهْلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ
النَّهْرِ وَهُوَ يَتَسَعُّ نَارَةً وَبَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتَعَبَنِي تَعَبًا شَدِيدًا
فَأَخَذَنِي سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِ فِي الْفُلْكِ . وَلَمْ
يَنْزِلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَذْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ . ثُمَّ إِنِّي اسْتَبَقَطْتُ فَوَجَدْتُ
نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الْفُلْكَ مَرْبُوطٌ
عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْهُنُودِ وَالْحَبْشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ تَهَضُّوا إِلَيَّ
وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَنَبَيْتُ أَطْنُ أَنَّهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي
الْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضُّبْحِ وَالْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ
حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . فَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانِ
عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ
مِيجَتِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَبْشُرْ بِلَايَةِ خَلْفِ

هَذَا الْجَبَلِ لَا تَنَا لَا نَعْلَمُ أَنْ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا: فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ تَكُونُونَ
أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هَذِهِ: فَقَالَ لِي: يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجِئْنَا
لِنُسْقِيَ غَيْطَانَنَا وَزَرَعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفَلَكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا
حَتَّى نَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ. فَأَخْبَرْنَا مَا سَبَبُ وَصُولِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ: فَقُلْتُ لَهُ:
يَا اللَّهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَتَيْتَنِي بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ فَأَنِي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُنِي
عَمَّا تَرِيدُ. فَاسْرِعْ وَأَتَانِي بِالطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَارْتَحْتُ وَسَكَنَ
رَوْعِي وَازْدَادَ شَبْعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي. فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَفَرِحْتُ بِمُخْرُوجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوَصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَصِفَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ
بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: لَا بَدَأْنَا نَأْخُذُ مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا لِنُخْبِرَهُ بِهَا جَرَسَ
لَهُ: قَالَ: فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِيَ الْفَلَكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ
وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِ. وَقَدْ أَذْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُونَهُ بِمَا جَرَى.
فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا اتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ. فَأَخْبَرْتُهُ
بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَقِيتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ
هَذِهِ الْحِكَايَةِ غَايَةَ التَّعَجُّبِ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قُبْتُ وَطَلَعْتُ مِنْ
ذَلِكَ الْفَلَكِ شَيْعًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ الْخَامِ
وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ قَبِيلَةً مِنِّي وَكُرْمِي أَكْرَامًا زَائِدًا وَأَتَزَلَّنِي فِي مَكَانٍ عِنْدَهُ
وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ لَا أَفَارِقُ دَارَ
الْمَلِكِ. وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي
فَأَخْبَرُهُمْ بِهَا. وَكَذَلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي

مَلِكُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَلَّا يَأْمُرَ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْخُلَيْفَةِ فِي بِلَادِ
 مَدِينَةِ بَغْدَادَ فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ. فَتَجَبَّ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ
 إِنْ الْخُلَيْفَةُ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مُرَضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبِيتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي
 أَنْ أَجْهَزَ لَهُ هَدِيَّةً وَلَزَّ سَلْهَا مَعَكَ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: سَمِعَا وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أَوْصَلْهَا
 إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ. وَلَمْ أَزَلْ مُفِيمًا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي
 غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا
 يَوْمَئِذٍ أَلَّا يَأْمُرَ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. أَنَّهُمْ
 جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرِ. فَقُلْتُ فِي
 نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ. فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَفِي
 وَسَاعَتِي وَقَبْلْتُ بِدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنْ مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي
 الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي أَشْتَقُّ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي. فَقَالَ لِي الْمَلِكُ:
 الرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِفَامَةُ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا
 أَنْسُكَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَرَبَتْ بِي بِحَبْلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدْ
 أَشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي: فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التِّجَارَ الَّذِينَ
 جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَلَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ
 عَنِّي أَجْرَ الْمَرْكَبِ وَلَزَّ سَلْ مَعِيَ هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخُلَيْفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ. ثُمَّ إِنِّي وَدَعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ.
 ثُمَّ نَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التِّجَارِ وَسَرَرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّجْجُ وَالسَّفَرُ وَنَحْنُ
 مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ
 جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِأَذْنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ

الْبَصْرِ . فَطَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ أَرَلْ مَعِيَ بَارِضِ الْبَصْرِ أَيَّامًا وَلِيَايَ
 حَتَّى جَهَزْتُ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةٍ بَعْدَ إِدَارِ السَّلَامِ .
 فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ
 بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْنَعَنِي وَدَخَلْتُ حَارِثَ
 وَجَّأَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَفْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ .
 وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ . فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ
 وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ
 مِنْهَا أَسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . طَلَعْتُ عَلَى
 جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًَا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ .
 وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي السَّفَرِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَيَسَبِّ إِرسَالِي الْهَدِيَّةَ . فَتَجَبَّ الْخَلِيفَةُ
 مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي
 خِزَانَتِهِ لِيُعْتَبَرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

حِكَايَةُ عَائِدٍ

وَعَمُوا أَنْ بَعْضَ الْعَبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ يَأْوِي إِلَى
 ذَلِكَ الْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ الْحَمَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْعَائِدُ قَدْ قَسَمَ قُوَّتَهُ نِصْفَيْنِ .
 وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذَلِكَ الزَّوْجِ الْحَمَامِ . وَكَذَا الْعَائِدُ لَهَا
 بِكَثْرَةِ النَّسْلِ . فَكَثُرَ نَسْلُهَا . وَلَمْ يَكُنِ الْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ
 الْعَائِدُ . وَكَانَ السَّبَبُ فِي أَجْنَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَائِدِ كَثْرَةُ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ . وَقِيلَ :
 إِنَّ الْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ وَقَاسِمِ الرِّزْقِ . وَيَا

السَّمَوَاتِ. وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ: وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الزَّوْجُ الْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ
هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ الْعَايِدُ. فَتَشَتَّتَ شَمْلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي الْمَدَنِ
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ

حِكَايَةُ الرَّايِ الْعَايِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ أَجْبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ. وَكَانَ صَاحِبَ
دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ. وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ بِرَعَاهَا. وَيَسْتَعِجُ بِالْبَانِيَا وَأَصْوَافِهَا. وَكَانَ
ذَلِكَ أَجْبَلٌ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّايِ كَثِيرَ الْأَنْجَارِ وَالْمَرْعَى وَالسِّبَاعِ. وَلَمْ
يَكُنْ لِيُنْكَ الْأَوْحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى الرَّايِ. وَلَا عَلَى غَنِيهِ. وَلَمْ يَزَلْ مُنِيًا فِي
أَجْبَلٍ مُطْمَئِنًّا لَا يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ
وِعِبَادَتِهِ. فَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُ مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا. فَدَخَلَ الْعَايِدُ فِي كَهْفٍ
أَجْبَلٍ. وَصَارَتْ الْغَنَمُ تَخْرُجُ بِالنَّهَارِ إِلَى مَرَعَاهَا. وَتَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى الْكَهْفِ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّايِ قَرِيبَةً فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ بِمَكَانِهِ.
فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِي مَكَانٍ كَذَا رَجُلًا
صَالِحًا. فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ أَمِيرٍ: فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ
سَاقِرًا. فَلَمَّا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ أَتَتْهُ إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنٌ مَاءٍ تَجْرِي. فَاسْتَرَاحَ
هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ نَتْلِكَ الشَّجَرَةِ. فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى
نَتْلِكَ الْعَيْنِ لِشَرْبِ مَنِمَا. فَلَمَّا رَأَتْ الْعَايِدَ جَالِسًا تَفَرَّتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ
وَشَرَدَتْ. فَقَالَ الْعَايِدُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. لِيَنِي لَمْ أَسْتَخِ هُنَا إِلَّا
ضَرَرَ عَلَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ: فَقَامَ وَقَالَ مُعَانِيًا لِنَفْسِهِ: لَقَدْ أَضَرَّ بِهِ
الْحُبُونَاتُ فِي هَذَا الْبُومِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَأَلْعُدُّ رُبِّي وَيَتَ

خَالِي وَخَالِي هَذِهِ الطُّيُورَ وَالْوُحُوشَ فَإِنِّي كُنْتُ سَبِيحًا لِّشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا
وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا. فَوَاجِئَكُنِي مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءَ مِنْ
أَشَاةِ الْفَرَنَاءِ: ثُمَّ بَكَى وَأَنشَدَ يَقُولُ هَذِهِ آيَاتُ

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْآنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَبَوَتْ ثُمَّ بَعَثَ ثُمَّ حَشَرَ وَتَوَسَّجَ وَأَهْوَالَ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا أَنْهَبْنَا أَوْ أَمْرْنَا كَأَهْلِ الْكُهْفِ أَبْقَاطُ نِيَامُ
ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الطُّيُورَ وَالْوُحُوشَ
مِنْ شُرْبِهَا. وَوَلَّى سَاحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى الرَّايِ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَتْهُ وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ الرَّاي: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى
هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ: فَقَالَ لَهُ الْعَايِدُ: إِنِّي
رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ
عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ مُبْتَلَا لِمَا أَمَرْتُ بِهِ: فَقَبِلَهُ الرَّايُّ وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ
وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْكِسُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْغَارِ. فَحَسَنَتْ عِبَادَتُهَا وَلَمْ
يَزَلْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْكِسُ رَبُّهَا وَيَقْوَتَانِ مِنَ الْحُومِ الْغَنَمِ وَالْبَاقِيَا
مُتَجَرِّدِينَ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهَا الْيَقِينُ. وَهَذَا آخِرُ حَدِيثِهَا



حِكَايَاتُ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ

الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُنْقِذِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ يَوْمًا فِي جُمْلَةٍ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابَ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهَرَ لِلْخَلَائِقِ عَجَائِبَ رَبِّتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأَمَرَ أَتَمَّ كِبَرَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أَهْبَةَ الْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ بِأَنْ يُجْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي رَبِّتِهِ. وَأَمَرَ بِإِخْصَاصِ خَلِيلِهِ الْمَوْصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ. وَمِنْ الْخَيْلِ مَا اسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَيْسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ. وَسَارَ بِالْمَوَكِبِ. وَالطُّوقِ الْمُرْصَعِ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ. وَجَعَلَ يُرَكِّضُ الْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ. وَيَغْفِرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. فَأَنَّهُ إِبْلِيسُ قَوَّضَ يَدَهُ عَلَى مَخْرَجِهِ وَنَحَّى فِي أَنْفِهِ نَفْخَةَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ فِي الْعَالَمِ يُنَالِي: وَطِيفَ بَيْنَهُ بِالْعَجَبِ وَالْكِبَرِ وَيُظْهِرُ الْأَهْبَةَ. وَيَزْهُو بِالْخَيْلَاءِ وَلَا يَنْتَظِرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْنِهِمْ وَكِبَرِهِ. وَتَعْجِبه وَتُفْخِرُ. فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. فَفَبَضَّ عَلَى عُنَانِ فَرَسِهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَرْفَعُ يَدَكَ. فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي بَعَثَانِ مَنْ قَدْ أَمْسَكَتَ: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً: فَقَالَ: أَصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَأَذْكُرَ حَاجَتَكَ: فَقَالَ: إِنَّمَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أَذُنِكَ: قَالَ يَسْمِعُهُ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ. وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ: فَقَالَ: أَهْلِي بِقَدْرٍ مَا أَعُوذُ إِلَى بَيْتِي. وَأُوَدِّعُ أَهْلِي وَلَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجِي: فَقَالَ: كَلَّا. لَا تَعُوذُ. وَلَنْ تَرَاهُمْ

أَبَدًا. فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُمْرِكَ. فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ قَرَسِهِ. فَخَرَّ مَيِّتًا
وَمَضَى مَلَكَ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ. فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا. فَقَدَّرَ خِيَالَهُ تَعَالَى
عَنْهُ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَرَدٌ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَلَكَ الْمَوْتِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ. إِنْ لِي
إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَهِيَ سِرٌّ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: أَذْكَرُ حَاجَتِكَ فِي أَذُنِي
فَقَالَ: أَنَا مَلَكَ الْمَوْتِ: فَقَالَ الرَّجُلُ: مَرَحَبًا بِكَ. أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَحَبَّتِكَ
فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ وَصُورَكَ إِلَيَّ. وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ الْمُسْتَنَاقِ
إِلَى قُدُومِكَ: فَقَالَ لَهُ مَلَكَ الْمَوْتِ: إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَأَقِضْهُ: فَقَالَ لَهُ
لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهْمٌ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: فَقَالَ: كَيْفَ يُحِبُّ أَنْ
أَقِضَ رُوحَكَ. فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتُ وَأَخْتَرْتُ: فَقَالَ:
أَمْهِلْنِي حَتَّى أَتَجَدَّدَ وَأُصَلِّيَ. فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَأَقِضْ رُوحِي. وَأَنَا سَاجِدٌ:
فَقَالَ مَلَكَ الْمَوْتِ: إِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَقِضَ رُوحَكَ إِلَّا
بِاخْتِيَارِكَ. كَيْفَ أَرَدْتُ. وَأَنَا أَفْعَلُ مَا فُلْتُ: فَقَامَ الرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى
فَقَبَضَ مَلَكَ الْمَوْتِ رُوحَهُ. وَهُوَ سَاجِدٌ. وَنَفَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ الرَّحْمَةِ
وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ

الْحِكَايَةُ الثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلُوكِ. كَانَ قَدْ جَمَعَ مَا لَا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ.
وَأَحْنَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ. مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِزِينَةِ
نَفْسِهِ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ النِّعَمِ الطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا
مُرْتَفِعًا شَاهِقًا. يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ. وَيَكُونُ بِهِمْ لَأْتِمًا. ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَايِنِ
مُحْكَمِينَ. وَرَتَّبَ لَهُ الْعِلْمَانَ وَالْأَجْنَادَ وَالْبَوَايِنَ كَمَا أَرَادَ. وَأَمَرَ الطَّبَاغَ فِي

بَعْضِ الْأَبَامِ . أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ الطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ .
وَأَتَحَابَهُ وَخَدَمَهُ . لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَتَأَلَّوْا رِفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ
وَسَيَادَتِهِ . وَانْكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَا نَفْسُ . قَدْ جَمَعْتُ
لَكَ نِعَمَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . فَالآنَ تَقَرَّغِي وَكُلِي مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ مَهْنَةً يَا عَمِيرَ
الطُّوِيلِ . وَانْظُرِي أَنْجَزِيلَ : فَلَمْ يَفْرَغْ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ . حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ
مِنْ ظَاهِرِ الْقَصْرِ . عَلَيْهِ ثِيَابُ رُتَّةٍ وَفِي عُنُقِهِ خِلَالَةٌ مَعْلُوقَةٌ عَلَى هَبْئَةٍ سَائِلِ
لَيْتَالِ الطَّعَامِ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلْفَةَ بَابِ الْقَصْرِ طَرَفَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً .
كَأَنَّهُ تَزَلُّزِلُ الْقَصْرِ وَتُزْجَعُ السَّرِيرُ . فَخَافَ الْغِلْمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى الْبَابِ .
وَصَاحُوا بِالطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ : وَنَحْكَ . مَا هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَسُوُّ الْأَكْبَرِ . أَصِيرَ
حَتَّى يَأْكُلَ الْمَلِكُ وَتُعْطِيَكَ مِمَّا يَفْضُلُ : فَقَالَ لِلْغِلْمَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ
يَخْرُجُ إِلَيَّ حَتَّى يُكَلِّمَنِي . فَبَلَغَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مِمُّهُ وَأَمْرٌ مِمُّهُ : فَقَالُوا : نَعَمْ
أَيُّهَا الضَّعِيفُ . مَنْ أَنْتَ حَتَّى نَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِالْخُرُوجِ إِلَيْكَ : فَقَالَ لَهُمْ :
عَرِفُوهُ ذَلِكَ : فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَّفُوهُ . فَقَالَ : هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَّدْتُمْ عَلَيْهِ
وَنَهَرْتُمُوهُ : ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ الطَّرَفَةِ الْأُولَى . فَنَهَضَ الْغِلْمَانُ إِلَيْهِ
بِالْعِصِيِّ وَالسَّلَاحِ وَقَصَدُوهُ لِيُخَارِبُوهُ . فَصَاحَ بِهِمْ صَبْحَةً . وَقَالَ : الزُّمُوا
أَمَّا كُنُكُمْ . فَأَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ : فَرَعَبْتُ فَلَوْبُهُمْ وَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ . وَطَاشَتْ
حُلُومُهُمْ . وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ الْحُرْكََةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ
الْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَأْخُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي : فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : لَا آخُذُ
بَدَلًا . وَلَا أَتَيْتُ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لِأَقْرِقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النِّعَمِ الَّتِي جَمَعْتَهَا .
وَالْأَمْوَالِ الَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا : فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ وَبَكَى وَقَالَ :

لَعَنَ اللَّهُ أُمَّالَ الَّذِي غَرَّيَ وَأَضَرَّيَ وَمَنَعَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي. وَكُنْتُ أَطْلُعُ
أَنَّهُ يَنْفَعُنِي. فَبَنَيْتُ الْيَوْمَ حَسْبَ عَلَيَّ وَوَبَالَأَلَسْبَ. وَهَآ أَنَا أَخْرَجُ صَفَرَ
الْيَدَيْنِ مِنْهُ وَيَتَنِي لِأَعْدَائِي: قَالَ. فَأَنطَقَ اللَّهُ أُمَّالَ وَقَالَ: لِأَبِي سَبَبُ
تَلَعَّنِي. لَعَنَ نَفْسَكَ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي
سِفْهِ يَدِكَ لَتَتَرَوَدَ مِنِّي لِأَخْرَجَتِكَ وَتَتَصَدَّقَ بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالضُّعَفَاءِ. وَلَتَعْبُرَ بِي الْمَسَاجِدَ وَالْجُحُورَ وَالْفَنَاطِيرَ. لِأَكُونَ عَوْنًا لَكَ
فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَرَجْتَنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِحَقِّي
بَلْ كَفَرْتَنِي. فَالآنَ تَرَكْنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامَتِكَ. فَالْبُيْ
دَانِبَ لِي حَتَّى تَسْبِي: ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ. وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ
قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ. فَحَرَّ مِينَا سَافِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا. أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

الْحِكَايَةُ الثَّالِثَةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الدَّارِ.
وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَيْئَةٌ هَائِلَةٌ. فَاسْتَأْذَنَ مِنْهُ هُوَ عَلَيْهِ. وَقَرَعَ مِنْ هَيْئَتِهِ
قَوْنَبَ فِي وَجْهِهِ. وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ. وَمَنْ أَجْنَلُكَ فِي الدُّخُولِ
عَلَيَّ وَأَمْرُكَ يَا هَؤُلَاءِ إِلَى دَارِي: فَقَالَ: أَمْرِي صَاحِبُ الدَّارِ. وَأَنَا لَا يَجُوزُنِي
حَاجِبٌ وَلَا أَخْنَاجُ فِي دُخُولِ الْمُلُوكِ إِلَى إِذْنِهِ. وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ
سُلْطَانٍ. وَلَا كَثْرَةَ أَعْوَانٍ. أَنَا الَّذِي لَا يَفْرَعُنِي جَبَّارٌ. وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ
قَبْضِي فِرَارٌ. أَنَا هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُفْرِقُ الْجَمَاعَاتِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا

الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ الرِّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ
 قَالَ: أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ: نَالَ: نَعَمْ: قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا اللَّهُ إِلَّا مَا
 أَهْلَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي. وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَلَرَدَّ
 الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا. وَلَا أَتَحْمِلَ مَشَقَّةَ حِسَابِهَا. وَوَيْلَ عِقَابِهَا:
 فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ذَلِكَ. وَكَيْفَ
 أَهْلِكَ وَأَيَّامَ عُمْرِكَ مَحْسُوبَةٌ وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ. وَأَوَقَانُكَ مَثْبُوتَةٌ
 مَكْتُوبَةٌ: فَقَالَ: أَهْلِي سَاعَةٌ: فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ
 وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَأَنْقَضَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ. وَقَدْ أَسْنَوَيْتَ أَنْفَاسَكَ. وَلَمْ
 يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ: فَقَالَ: مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى لَحْدِي:
 قَالَ: لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ: فَقَالَ: مَا لِي عَمَلٌ: قَالَ: لَا جَرَمَ إِنَّهُ
 يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ: ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ
 سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ. وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَحَصَلَ الصَّبْحُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ.
 وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَعَلَا الصَّبَاحُ وَالْبُكَاءُ. وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ
 مِحْطَرِّ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاءُكُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْقَرَّ

ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حِكْمِي أَنْ إِسْكَنْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَجْنَزَ فِي سَفَرِهِ يَوْمَ ضَعْفًا لَا يَمْلِكُونَ
 شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا. وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ خُورِهِمْ.
 وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ بَعَثُهُمْ تِلْكَ الْقُبُورَ. وَيَكْسُونَ التُّرَابَ عَنْهَا.
 وَيَنْظِفُونَهَا وَيُزَوِّدُونَهَا. وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا. وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا
 الْحَشِيشُ وَنَبَاتُ الْأَرْضِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنْدَرُ ذَا الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي

مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ. فَلَمْ يُجِبْهُ. وَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ؟ فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ.
 وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ
 فِضَّةٍ وَلَا أَحَدٌ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا
 يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ: فَقَالَ لَهُ: إِسْكَنْدَرُ: لِمَ حَفَرْتُمُ الْقُبُورَ عَلَى أَنْبِيَائِكُمْ: فَقَالَ:
 لِيَكُونَ نُصَبَ أَعْيُنِنَا. فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا تَنْسَى الْآخِرَةَ
 وَيَذْهَبُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا. فَلَا نَسْتَغِلُّ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى: فَقَالَ
 إِسْكَنْدَرُ: كَيْفَ نَأْكُلُونَ الْخَشِيشَ: قَالَ: لِأَنَّا نَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا
 قُبُورَ الْحَيَوَانَاتِ. وَلِأَنَّ لَذَّةَ الطَّعَامِ لَا تَنْجَاوِزُ الْخَلْقَ: ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَآخَرَاجَ
 فِيهَا مِنْ رَأْسِ آدَمِي فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَنْدَرَ. وَقَالَ لَهُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ.
 أَنْتُمْ مَنْ كَانَتْ صَاحِبُ هَذَا: قَالَ: لَا: قَالَ: كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ
 الدُّنْيَا. فَكَانَ بَظْلِمٍ رَعِيَّتَهُ وَبِحُجُورٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي
 جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا. فَفَبَضَّ اللَّهُ رُوحَهُ. وَجَعَلَ النَّارَ مَقَرُّهُ وَهَذَا رَأْسُهُ: ثُمَّ
 مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ فِيهَا آخَرَيْنِ بَدَنِيهِ. وَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ هَذَا: قَالَ: لَا: قَالَ
 هَذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ. شَفَوْقًا عَلَى أَهْلِ
 وَلَآئِيهِ وَمُلِكِهِ. فَفَبَضَّ اللَّهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ: وَوَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى رَأْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: بُرَى أَنْتَ أَيُّ هَذَيْنِ الرَّأْسَيْنِ: فَبَكَى ذُو
 الْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَنْتَ رَغَبْتَ فِي صُحْبِي.
 سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَزَارْتَنِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي: فَقَالَ الرَّجُلُ: هِيَ هَآهُنَا.
 هِيَ هَآهُنَا. مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هَذَا: فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ: وَلِمَ ذَلِكَ: قَالَ: لِأَنَّ
 الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ الْمَالِ وَالْمَلِكِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ. وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي

فِي الْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ وَالصَّعْلَكَةِ . لِأَنِّي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي
الدُّنْيَا . وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ . وَلَا فِيهَا أَرْبٌ . وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْقَنَاعَةُ حَسَبُ .
فَضَمَهُ إِسْكَندَرُ إِلَى صَدْرِهِ . وَقَبْلَهُ يَنْ عَيْنِهِ وَأَنْصَرَفَ

مُخَبَّرٌ

مَا كَتَبَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْمُكَافَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

فِي طَلَبِي أَعْيَيْنَ

حُكْمِي أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْيَيْنَ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ . وَكَانَتْ
مَوْصُوفَةً بِالْكَرَمِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي
مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ . وَكَانَ الْآخَرُ عَزْبًا لَا أَهْلَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ
ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أُمِّ جَعْفَرٍ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
بِزَهْمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَالِبِ فَضْلِهَا رَغِيْبَيْنِ بَيْنَهُمَا دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِهَا
عَشْرَةُ دَنَائِيرَ لَمْ تَعْلَمْنَهُ بِهَا . فَكَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرِ : خُذْ هَذَيْنِ
الرَّغِيْبَيْنِ وَالْدَجَاجَةَ وَأَعْطِي الدُّرْهَمَيْنِ فَيَفْعَلْ ذَلِكَ . فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ
شَهْرٌ . ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ تَقُولُ : قُولُوا لِطَالِبِ فَضْلِنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا .
فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا مَاذَا أَعْطَيْتِهِ . فَقَالَتْ : ثَلَاثِيئَةً دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا
وَاللَّهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ لِي دَجَاجَةً وَرَغِيْبَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُنْتُ أَيْعُهَا
لِصَاحِبِي بِدِرْهَمَيْنِ . فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ : صَدَقَ الرَّجُلُ . إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِ

اللَّهُ فَأَغْنَاهُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَلَمْ يَنْصِدْ غِنَاهُ. وَالْآخِرُ طَلَبَ مِنْ
فَضْلِنَا فَرَحَهُ اللَّهُ.
(نوادير القلوب)

فِي قِطْرِ يَقُوتُ قِطًّا

حكى ابنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجِمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَابِشَادَ
الْخَوِيِّ. أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحٍ جَامِعٍ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ بَعْضُ
أَتَحْيَائِهِ. فَخَضَرَهُمْ قِطْرٌ فَرَمَوْا لَهُ لُثْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ
فَرَمَوْا لَهُ لُثْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ.
ثُمَّ عَادَ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ يَأْخُذُ وَيَغِيبُ ثُمَّ
يَعُودُ مِنْ قَوْرِهِ فَتَعْجَبُوا مِنْهُ. فَتَبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيَدْخُلُ
بِهِ إِلَى خِرْبَةٍ فِيهَا شِبْهُ أَلْيَيْتِ الْخُرَابِ وَفِي سَطْحٍ ذَلِكَ أَلْيَيْتُ قِطْرٌ أَعْمَى.
فَإِذَا هُوَ يَضَعُ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ
بَابِشَادَ: إِذَا كَانَ هَذَا حَيوانًا آخَرَسَ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْفِطْرَ وَهُوَ يَقُومُ
بِكَمَا يَنْتَهُ وَلَمْ يَحْرَمْهُ الرِّزْقَ فَكَيْفَ يُضَيِّعُ مِثْلِي. ثُمَّ قَطَعَ الشَّيْخُ عَلَانَتَهُ وَتَرَكَ
خِدْمَةَ السُّلْطَانِ وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى
لَنْ مَاتَ
(حياة الحيوان للدميري)

فِي جُودِ مَلِكٍ

فِيلٌ إِنْ أَلَمَّكَ خَسْرُو بْنُ بَرْوَيْزَ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ السَّمَكِ وَكَانَ يَوْمًا
جَالِسًا فِي الْمَنْظَرَةِ وَشِيرِينَ عِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَّادٌ وَمَعَهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَهْدَاهَا
لِخَسْرُو وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَقَالَتْ
شِيرِينَ: بَيْسَ مَا صَنَعْتَ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَ. فَقَالَتْ: لِأَنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَ

بَعْدَ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ حَشِيكَ هَذَا الْقَدَرِ . قَالَ : قَدْ أَعْطَانِي مِثْلَ عَطِيَّةِ
 الصَّيَادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتَ . وَلَكِنْ يَنْجُ بِالْمُلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هِبَاتِهِمْ
 وَقَدْ فَاتَ الْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينُ : أَنَا أَدْرِ هَذَا الْحَالِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ
 ذَلِكَ . فَقَالَتْ : تَدْعُوا الصَّيَادَ وَتَقُولُ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرْتُ هِيَ أَمْ أَنْتِ .
 فَإِنْ قَالَ ذَكَرْتُ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ أَنْتِ . وَإِنْ قَالَ أَنْتِ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ
 ذَكَرًا . فَنُودِيَ الصَّيَادُ فَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفُطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ
 خَسْرُو : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرْتُ أَمْ أَنْتِ . فَقَبِلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ
 السَّمَكَةُ خُنْفَى لَا ذَكَرْتُ وَلَا أَنْتِ . فَضَحِكَ خَسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
 آلَافٍ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الصَّيَادُ إِلَى الْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهُمْ بِالْخُرُوجِ قَوَّعَ
 مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَأَتَخَى عَلَى
 الدَّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِحَسْرَتِهِ :
 أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هَذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَالْتَمَسَتْ عَنْ
 كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَأَتَخَى عَلَى الدَّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهَلْ عَلَيْهِ
 أَنْ يَتْرُكَهُ لِأَخْذِهِ غَلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمَلِكِ . فَحَرَدَ خَسْرُو مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ :
 صَدَقْتَ يَا شِيرِينُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ الصَّيَادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهَيْبَةِ
 لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هَذَا الْمَالَ عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِفَتِ
 أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَدَانِهِ . فَقَبِلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاكَ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذَلِكَ الدَّرْهَمَ لِحَاطِرِ عُنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ الْأَرْضِ
 لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ اسْمُ الْمَلِكِ . فَخَشِيتُ أَنْ

يَأْتِي أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِخْنَاكَ بِاسْمِ الْمَلِكِ
وَأَكُونُ أَنَا الْمُوَاحِدُ بِهَذَا. فَحَبِّ خَسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَاسْتَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ
قَامَرَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَعَادَ الصَّيَادُ وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
وَأَمَرَ خَسْرُو مُنَادِيًا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرُ أَحَدٌ بِرَأْيِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ
بِرَأْيِهِنَّ وَأَعْتَمَدَ بِأَرْهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ (التبر المسبوك للغزالي)

فِي جُودِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُجْعَلُ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي خَصَّةَ
الشَّاعِرُ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ بِلَادَ الْيَمَنِ .
أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلْبِي وَجَعَلَ لِي بَحِيلِي إِلَيْهِ مَا لَا. قَالَ: فَأَضْطَرَرْتُ
لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفِنْتُ
عَارِضِي وَلَيْسَتْ جُبَّةُ صُوفٍ وَرَكِبْتُ حِمْلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ
لَأَقِيمَ بِهَا. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ. تَبِعَنِي
أَسْوَدٌ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى إِذَا غَيْبْتُ عَنِ الْحُرْسِ قَبَضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ
فَأَنَاحَهُ وَقَبَضَ عَلَى يَدِي. فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا لِكَ. قَالَ: أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُطَلَبَ. فَقَالَ: أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ .
فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا أَتَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ. فَقَالَ: دَعِ هَذَا
فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ. فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّ قُلْتُ لَهُ: هَذَا عَقْدُ جَوْهَرٍ
فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِيَ بِأَضْعَافٍ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِي بَحِيلَتِي. فَنَحَذُهُ وَلَا تَكُنْ
سَبِيًّا لِسَفْكَ دِمِي. قَالَ: هَانِيهِ. فَأَخْرَجْنَاهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ:
صَدَقْتَ فِي قِيمَتِهِ وَأَسْتُ قَابِلُهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ.

فَقُلْتُ: قُلْ. قَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ. فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ
 مَالَكَ كُلَّهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَتَصْنَعُهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَتُكَلِّهُ. قُلْتُ: لَا. حَتَّى بَلَغَ
 الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا. قَالَ: وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ.
 أَنَا رَجُلٌ وَرَزَقَنِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلَّ شَهْرِ عِشْرُونَ دِينَارًا وَهَذَا
 الْجَوْهَرُ فِيمَنْهُ أَلُوفٌ دِينَارٍ قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَالْجُودُ كَ
 الْمَاءِ نُورٌ بَيْنَ النَّاسِ. وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ فَلَا
 تُعِيبَكَ نَفْسُكَ وَتُخْجِرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تُتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرَمَةٍ.
 ثُمَّ رَمَى الْعِقْدَ فِي حُجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرِفًا. قُلْتُ: يَا هَذَا
 لَقَدْ قَبَضْتَنِي وَلَسَنْتُكَ دَمِي عَلَى أَهْوَنِ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ فَإِنِّي
 غَنِيٌّ عَنْهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ تُكَلِّمَنِي فِي مَقَالِي هَذَا. وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُهُ
 وَلَا أَخَذْتُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا. وَمَضَى لِسَبِيلِهِ. ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ
 وَبَدَلْتُ لِمَنْ يَحْيَى بِهِ مَا شَاءَ فَأَعَرَفْتُ لَهُ خَبْرًا (ثمرات الاوراق للحموي)

فِي الْمُكَافَاةِ

مَا جَاءَ فِي الْمُكَافَاةِ مَا حَكِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا
 عِنْدَ بَيْتِي بْنِ خَالِدٍ الْبَرَمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ لِاحْكَامِ أَمْرِ مِنْ أُمُورِ
 الرَّشِيدِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ
 فَقَضَاهُمْ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِلشَّيْخِ فَكَانَ آخِرُهُمْ فَيَأْتِي أَحَدُ بَنِي خَالِدٍ
 الْأَحْوَلِ. فَتَنْظَرُ بَيْتِي إِلَيْهِ وَالتَفَتَ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ وَقَالَ: يَا بَنِي إِنْ
 لِي بِكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَقْرُ حَدِيثًا. فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْ شُغْلِي هَذَا فَدَعِكُنِي
 أَحَدِيكَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ ابْنُهُ الْفَضْلُ: أَعَرَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي

أَمَرَنِي أَنْ أَذْكُرَكَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْوَلِ. قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. لَمَّا قَدِمَ
أَبُوكَ مِنَ الْعِرَاقِ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا. فَاسْتَدْبَرَنِي
الْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالَ لِي: مَنْ فِي مَنْزِلِي إِنَّا كُنْهُمَا حَالِنَا وَزَادَ ضَرَرُنَا وَلَنَا
الْيَوْمَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ نَقَاتُ بِهِ. قَالَ: فَبَكَيْتُ يَا بُنَيَّ لِذَلِكَ
بُكَاءً شَدِيدًا. وَبَقِيتُ وَلَهُنَّ حَبْرَانِ مُطْرِفَا مُفَكِّرَا. ثُمَّ تَذَكَّرْتُ مَنَدِيلًا
كَانَ عِنْدِي فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا حَالُ الْمَنَدِيلِ. فَقَالُوا: هُوَ بَاقٍ عِنْدَنَا.
فَقُلْتُ: اخْذُوهُ إِلَيَّ. فَاخْذَلْتُهُ وَدَقَعْتُهُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِي وَقُلْتُ لَهُ: يِعْنُ بِهَا
تَيْسَرٌ. فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا. فَدَفَعْتُهَا إِلَى أَهْلِي وَقُلْتُ: أَنْتِفُوهَا إِلَى
أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهَا. ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ
وَزِيرُ الْمَهْدِيِّ. فَإِذَا النَّاسُ وَفُوفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ
رَاكِبًا. فَلَمَّا رَأَى سَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا خَالِدٍ مَا
حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ مَنْزِلِهِ بِالْأَمْسِ مَنَدِيلًا بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا. فَنَظَرَ
إِلَيَّ نَظْرًا شَدِيدًا وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا. فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَلْبِ
وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ. فَقَالُوا: تَيْسَ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ. تَوَجَّهْتَ
إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرِ حَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَظْلَعْتَهُ عَلَى
مَكْنُونِ أَمْرِكَ. فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ مَنَزِلَتُكَ بَعْدَ أَنْ
كُنْتَ عِنْدَهُ حَلِيلًا. فَأَبْرَأَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ. فَقُلْتُ: قَدْ قَضَى
الْأَمْرُ الْآنَ بِي مَا لَا يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرْتُ إِلَى بَابِ
الْخَلِيفَةِ. فَلَمَّا مَلَعْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قَدْ ذَكَرْتَ السَّاعَةَ
يَسَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمْ أَتَيْتُ لِقَوْلِهِ. فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَهَقَالَةٍ

الْأَوَّلِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَيَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَى دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِهَرَكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسَرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلَيَّ يَفْلَانُ وَفُلَانُ الْخَنَاطِينِ فَلَحَضِرَا . فَقَالَ لَهَا : أَلَمْ تَشْرِي بَا مِئَةِ غَلَاتِ السَّوَادِ بِيَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفٍ حِرْمٍ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَلَمْ أَشْرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَهَ رَجُلٍ مَعَكُمْ قَالَا : بَلَى . قَالَ : هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي أَشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي : نَفَمَ مَعَهَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي : ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرِّجْحُ أَلْهِنِي . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي : إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَيَّ وَكَلَامًا وَأَمْنًا وَكِبَالَيْنِ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَيِّمٍ لَمْ تُقَدِّرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَيْسِّرَ لَنَا شِرْكَتَكَ بِهَالٍ نَعْمَلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَتَسْفُطَ عَنْكَ التَّعَبُ وَالْكَأَفُ . فَقُلْتُ لَهَا : وَكَمْ تَبْذُلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةَ أَلْفٍ حِرْمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ فَإِنِّي زِلَا لَا يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَيَّ أَنْ قَالَا لِي : ثَلَاثِينَ أَلْفَ حِرْمٍ وَلَا زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هَذَا . فَقُلْتُ : حَتَّى أَشَاوَرَأَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذَلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهَا : هَلْ وَافَقْتَهُ عَلَى مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : آذِهِمَا فَفِيضَاهُ الْمَالُ السَّاعَةِ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَصْلَحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَدْتُكَ الْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَدْتُ مَا وَعَدَنِي بِهِ . فَأَزَلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لِي وَلِيكَ الْفَضْلُ : يَا بَنِيَّ فَإِنِّي أَتَوَلَّى فِي أَمْرٍ مِنْ فَعَلٍ بِأَيْدِكَ هَذَا الْفِعْلُ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لِعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مِكَافَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَغْزِلُ نَفْسِي

وَأُولَئِهِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ وَهَكَذَا نَكُونُ الْمَكَافَاةَ (اللابشيبي)

الصَّانِعُ وَصَانِعُ الْمُخْلِيفَةِ

حَكِي أَنْ رَجُلًا مِنْ أَتْبَاءِ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ الصِّبَاغَةِ وَكَانَ
أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَأَفْتَقَرَ بَعْدَ غِيَاةٍ فَكَّرَ الْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ
فَانْتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ الصَّاعَةِ فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمٍ
السُّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ الْأَشْغَالَ لِلْسُّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ
ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِكٍ وَخُدَمٍ وَقَاشٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَتَوَصَّلَ الصَّانِعُ
الْغَرِيبُ إِلَى أَنْ يَقِي مِنْ أَحَدِ الصُّنَاعِ الَّذِينَ فِي دُكَّانِ هَذَا الْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ
يَعْمَلُ عِنْدَهُ مَدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ النَّهَارُ دَفَعَ لَهُ حِرْثَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَنَكُونُ أُجْرُهُ
عَمَلُهُ ثُسَاوِي عَشْرَةِ دَرَاهِمٍ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَبَانِيَةَ دَرَاهِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ .
فَانْتَفَقَ أَنْ الْمَلِكُ طَلَبَ الْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةً سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعَةٍ
بِفُصُوصٍ فِي غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ قَدْ عَمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِهِ إِحْدَى
مَحَاطِبِهِ فَأَنْكَسَرَتْ . فَقَالَ لَهُ : أَلْحَبُّهُمَا . فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَقَدْ أَضْطَرَبَ
عَلَيْهِ فِي عَمَلِهَا . فَلَمَّا أَخَذَهَا وَارَاهَا لِلصُّنَاعِ الَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ فَأَ
قَالَ لَهُ أَحَدُهُ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا . فَأَزَادَ الْمُعَلِّمُ لِذَلِكَ غَبَاً وَمَضَتْ
مَدَّةٌ وَهِيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ . فَاشْتَدَّ الْمَلِكُ عَلَى إِحْضَارِهَا وَقَالَ : هَذَا
الْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُلِمَّ سِوَارًا . فَلَمَّا
رَأَى الصَّانِعُ الْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ الْمُعَلِّمُ قَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا وَقْتُ
الْمُرُوءَاتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أُؤَاخِذُهُ بِعَمَلِهِ عَلَيَّ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ
بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَطَّ يَدُهُ فِي دِرَجِ الْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا وَفَكَ جَوَاهِرَهَا وَسَبَكَهَا .

ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَّمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ. فَلَمَّا
رَأَاهَا الْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ مَضَى بِهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَحْسَنَهَا
وَأَدْعَى الْمُعَلِّمُ أَنَّهُمَا صَنَعْتَهُ. فَلَحَسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَيِّئَةً. فَجَاءَ
وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَيَّنَّ الصَّانِعُ يَرْجُو مُكَافَأَتَهُ عَمَّا عَمَلَهُ بِهِ فَمَا التَفَتَ إِلَيْهِ
الْمُعَلِّمُ. وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى الدِّرْهَمَيْنِ شَيْئًا. فَمَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ
فَلَانِلٌ وَإِذَا الْمَلِكُ اخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجِي أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ
فَطَلَبَ الْمُعَلِّمُ وَرَسَمَ لَهُ يَكُلُّ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الصِّفَةِ
وَسُرْعَةِ الْعَمَلِ. فَجَاءَ إِلَى الصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْمَلِكُ. فَأَمْتَثَلَ مَرْسُومَهُ
وَلَمْ يَزَلْ مُتَتِّصًا إِلَى أَنْ عَمِلَ الزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُهُ شَيْئًا عَلَى الدِّرْهَمَيْنِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَبْعُدُ بَخِيرٍ وَلَا يَجْعَلُ مَعَهُ. فَرَأَى الْمُصْلِحَةَ
أَنْ يَنْقُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهَا آيَاتًا يَشْرَحُ فِيهَا حَالَهُ لِيَنْفَعَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ.
فَنَقَشَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهِمَا هَذِهِ الْآيَاتُ نَقَشًا خَفِيًّا يَقُولُ:

مَصَائِبَ الدَّهْرِ كُنِّي إِنْ لَمْ تَكُنِّي فَعَنِي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي وَجَدْتُ رِزْقِي نُورِي
فَلَا يَرْزُقُنِي أَحْظَى وَلَا يَصْنَعُنِي كَفِي
كَمْ جَاهِلٍ فِي الثَّرْيَا وَعَالِمٍ مُخْتَفِي

قَالَ: وَعَزَمَ الصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتِ الْآيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ شَرَحَ لَهُ مَا
عِنْدَهُ وَإِنْ غُمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوْصِيهِ إِلَى الْمَلِكِ. ثُمَّ لَفَّهَا
فِي قُطْنٍ وَنَاوَلَهَا لِلْمُعَلِّمِ فَرَأَى ظَاهِرَهَا وَلَمْ يَرِ بَاطِنَهَا لِجَهْلِهِ بِالصَّنْعَةِ
وَلَمَّا سَبَقَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ. فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَمَضَى بِهَا فَرِحًا إِلَى الْمَلِكِ

وَقَدْ مَهَّمَا إِلَيْهِ. فَلَمْ يَشْكُ فِي أَنَّهُمَا صَنَعْتُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرَهُ. ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ
 مَكَانَهُ وَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَى الصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ شَيْئًا عَلَى الدَّرَاهِمِينَ.
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي خَلَا خَاطِرُ الْمَلِكِ فَاسْتَحْضَرَ الْحُطِيبَةَ الَّتِي عَمِلَ لَهَا
 السُّوَارِينَ الذَّهَبَ. فَحَضَرَتْ وَهَمَّا فِي يَدَيْهَا فَأَخَذَهَا لِيُعِيدَ نَظَرَهُ فِيهَا
 وَفِي حُسْنِ صَنَعِهَا. فَقَرَأَ الْآيَاتِ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: هَذَا شَرَحُ حَالِ
 صَانِعِهَا وَالْمُعَلِّمُ بِكَذِبٍ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُعَلِّمِ. فَلَمَّا
 حَضَرَ قَالَ لَهُ: مَنْ عَمِلَ هَذَيْنِ السُّوَارِينَ. قَالَ: أَنَا أَنَا يَا الْمَلِكُ. قَالَ: فَمَا
 سَبَبُ نَقْشِ هَذِهِ الْآيَاتِ. قَالَ: لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا آيَاتٌ. قَالَ: كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ
 النَّقْشَ وَقَالَ: إِنْ لَمْ تَصُدِّقْنِي الْحَقُّ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَأَصْدَقَهُ الْحَقُّ فَأَمَرَ
 الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ الصَّانِعِ. فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ. فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ وَمَا
 جَرَى لَهُ مَعَ الْمُعَلِّمِ. فَرَسَمَ الْمَلِكُ يَعْزِلُ الْمُعَلِّمَ وَأَنْ تُسَلَبَ نِعْمَتُهُ وَتُعْطَى
 لِلصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا عَنْهُ فِي الْخِدْمَةِ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَصَارَ
 مُقَدِّمًا سَعِيدًا. فَلَمَّا نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى
 رَضِيَ عَنِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَصَارَا شَرِيكَينَ وَمُكْتَفَيْنَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
 إِحْسَانُ كَرِيمٍ إِلَى عَدُوِّهِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ غَسَّانَ بْنِ عُبَادٍ (وَيَمِينِ) عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَدَاوَةً
 عَظِيمَةً وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالِ خَرَّاجٍ كُضْبَاعٍ وَغَيْرِهِ فَبَقِيَتْ
 عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَأُلْحِقَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ بِطَلِبِهَا وَشَدَّدَ
 بِهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ حَاجِبِهِ: أَهْمِلْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ
 الْمَالَ وَإِلَّا فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى يَدْفَعَ الْمَالَ أَوْ يَتَلَفَ. فَأَنْصَرَفَ عَلِيُّ

أَبْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ الْمَأْمُونِ وَقَدْ أَرْتَاعَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ وَجْهًا يَنْجُو إِلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : إِذَا عَرَجْتَ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ وَعَرَفْتَهُ خَبَرَكَ رَجَوْتُ
أَنْ يُعِينَكَ عَلَى أَمْرِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ بَيَّنِّي وَسَيَّئُهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ مَا عَرَفْتُ .
فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ وَلَكِنْ الرَّجُلُ أَرْجِي كَرِيمٌ لَا تَمْنَعُهُ الْعَدَاوَةُ الَّتِي بَيْنَكُمَا عَنْ
فِعْلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مِنْ شِمْرِ الْكِرَامِ . فَتَقَامَ عَلَيَّ بْنُ مُوسَى وَمَضَى إِلَى
أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ . فَلَمَّا رَأَاهُ غَسَّانُ قَامَ إِلَيْهِ
وَتَلَقَّاهُ حَبِيلًا وَوَفَّاهُ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَقَالَ لَهُ : دَعِ الْأَمْرَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ
عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُولُكَ إِلَى دَارِي تُوجِبُ حُرْمَتَهُ بُلُوغَ مَا رَجَوْتُهُ مِنِّي
فَأَذْكُرُ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ . فَفَضَّ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ :
أَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ تَعَالَى صُعُوبَةُ أَمْرِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا . فَتَقَامَ
عَلَيَّ بْنُ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قَضِيهِ غَسَّانَ وَيَسُّ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ
لِكَاتِبِهِ : مَا أَفَدْتَنِي بِالْدُخُولِ عَلَى غَسَّانَ سِوَى تَعْجِيلِ الثَّمَانَةِ وَالْهَوَانِ . فَلَمْ
يَصِلْ عَلَيَّ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ أَنْ حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَّانَ وَمَعَهُ الْبَغَالُ
وَعَلَيْهَا أَمْالٌ فَتَقَدَّمَ عَلَيَّ بْنُ مُوسَى وَتَسَلَّمَهُ وَبَاتَ فَرِحًا مَسْرُورًا . وَعِنْدَ
الصَّبَاحِ بَكَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَدْفَعَ أَمْالَهُ فَوَجَدَ غَسَّانَ قَدْ سَبَقَهُ
هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لِعَلِيَّ بْنِ مُوسَى
يُحْضِرُكَ حُرْمَةً وَخِدْمَةً وَسَابِقَ أَصْلٍ وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ضَمَانِهِ
مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدْتُهُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسَّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلُهُ
وَأَخْهَبَ لُبَّهُ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْزِيَنِي مِنْ حَسَنِ كَرَمِهِ بَعْضُ
مَا عَلَيْهِ فَبِي صَنِيعَةٌ لِي مِنْ إِحْسَانِهِ . وَلَمْ يَزَلْ غَسَّانُ يَتَلَطَّفُ بِالْمَأْمُونِ

حَتَّى حَطَّ عَنْهُ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ وَأَقْتَصَرَ مِنْهُ بِالنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقَالَ غَسَّانُ لِلْمَأْمُونِ : سَمِعَا وَطَاعَةً وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُجَدِّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
لَهُ الضَّمَانَ وَيَجْلَعَ عَلَيْهِ لِكَيْ تَنْتَوِي نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ مِنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْقَاهُ اللَّهُ . فَلَجَابَ الْمَأْمُونُ إِلَى ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ :
إِنْ شَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلتَحْمِلِ الدَّوَاءَ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْفِيعِ مَا سَخَّ بِهِ
فِي مَا قَالَ . قَالَ : أَفْعَلُ . فَحَمَلْتُ الدَّوَاءَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَدَّمَهَا غَسَّانُ لَهُ
فَوَقَعَ حِينَئِذٍ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى . وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَانْجَلَعَ عَلَى كِفْتَيْهِ
وَالْتَوْفِيعُ يَدَيْهِ . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
وَأَرْسَلَهَا إِلَى غَسَّانَ وَشَكَرَهُ عَلَى جَمِيلِ فِعْلِهِ . فَقَالَ غَسَّانُ لِكَاثِبِهِ : وَاللَّهِ
مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِنُتَوَقَّرَ عَلَيْهِ الْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ
وَيَنْتَفِعَ بِهَا هُوَ فَامْضُ بِهَا إِلَيْهِ وَرُدِّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَاللَّهِ أَخِذَهَا فَبِي لَهُ .
فَلَمَّا رَجَعَ الْكَاثِبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مَوْلَاهُ وَبَلَّغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ
قَدْرَ مَا فَعَلَهُ غَسَّانُ مِنَ الْجَمِيلِ . وَلَمْ يَزَلْ بِخِدْمَتِهِ وَيُوقِرُهُ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
الْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : فَصَدْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ أَنْبِئُهُ
أَحْبَانًا كَثِيرِينَ لِكَرَمِهِ وَجُودِهِ . فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ نَوَابَا
فَمَنْعَنِي مِنَ الدَّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَوْفَقَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعِ
مِثْلَكَ إِلَّا لِرِقَّةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَدَيْهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ . فَقُلْتُ لَهُ : أُرِيدُ
أَنْ أَكْذِبَ لَهُ رُقْعَةً أَتَوْصِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : سَمِعَا وَطَاعَةً . فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا
وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ وَكَتَبْتُ لَهُ شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَأَفْضَلُ الْكَرِيمِ عَلَى الْكَرِيمِ
 ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ هَذِهِ الرُّقْعَةَ
 إِلَيْهِ . فَفَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقْعَةِ قَلِيلًا . ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِالرُّقْعَةِ عَيْنَهَا وَقَدْ كَتَبَ
 نَحْتِ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحْجَبُ بِالْحِجَابِ عَنِ الْكَرِيمِ
 وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرْعٌ فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِينَارٍ . فَتَحَجَّجْتُ مِنْ مَخَائِهِ مَعَ فَلَةٍ
 مَا يَدِي فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا يُخْضِنُ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِهَذَا الْخَبَرِ . فَأَنْطَلَقْتُ
 حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَاسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ .
 فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ يَا أَصْغِي . قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ
 الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقْعَةَ وَالصُّرْعَ
 وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ . فَلَمَّا رَأَى الصُّرْعَ قَالَ : هَذِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِي وَلَا بَدَّ لِي
 مِنَ الرَّجُلِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَعِي أَن أَكُونَ سَبَبَ
 رَوْعِهِ بِإِرسَالِكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا يُغْنِيكَ ذَلِكَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى بَعْضِ
 خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ : امْضِ مَعَ الْأَصْغِي فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَادْخُلْ وَقُلْ
 لِصَاحِبِهِ : أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ دُعَاؤُكَ لَهُ بِطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 تُرْعِمَهُ . قَالَ الْأَصْغِي : فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ الرَّشِيدُ أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي
 وَقَفْتَ لَنَا يَا الْأَمْسِي وَشَكَّوْتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ
 مِنَ الْإِحْتِيَاجِ فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الصُّرْعَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ وَقَدْ
 قَصَدَكَ الْأَصْغِي بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ فَدَفَعْتُهَا لَهُ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَاللَّهُ مَا كَذَبْتُ فِي مَا شَكَّوْنَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِفْقَةٍ حَالِي وَشِدَّةِ
أَحْبَابِي وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ : اللَّهُ حَرَّ بَطْنِ أَتَاكَ فَأَوْلَدَتْ
الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ . ثُمَّ بَالَعَ بِأَكْرَامِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ
أَكْرَامُ ثَلَاثَةِ أَصْدِقَاءَهُ مُخْلِصِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

نُقِلَ عَنِ الْوَقَائِدِيِّ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيٌّ وَكَانَا فِي
الصَّدَاقَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . فَنَالَنِي ضِيقٌ شَدِيدٌ وَقَدْ حَضَرَ الْعَيْدُ . فَقَالَتْ
لِي أُمْرَأَتِي : يَا مَوْلَايَ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ نَصَبْنَا عَلَى الْبُؤْسِ وَالشُّدَّةِ وَأَمَّا صَيَانُنَا
هُؤُلَاءِ فَقَدْ نَقَطَعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حُزْنًا وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ بَرُونَ صَيَانَ جِبْرَانِنَا
وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي الْعَيْدِ وَهُمْ فَرِحُونَ . فَلَا بَأْسَ إِذَا أَحْلَلْنَا فِي مَا
بُهِكْنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي كُسُوتِهِمْ . فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعْتُ فُؤَادِي
مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ . فَفَكَّرْتُ فِي الْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ
التَّوَسُّعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُهَيِّئُهَا وَيَحْضُرُ . فَوَجَّهَ إِلَيَّ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ .
فَمَا اسْتَفَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي الْأَخْرَجِيُّ شُكْرًا لِي مِنْهَا تَكُونُ أَنَا
إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ . فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِالْكَيسِ عَلَى حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى السُّجْدِ
وَأَنَا مُسْتَعِجٍ مِنْ أُمْرَأَتِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تَعْنِنِي
فِيمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ صَدِيقِي الْهَاشِمِيُّ وَاعَهُ الْكَيسُ وَهُوَ بَاتِي
بِحَنْبِهِ فَقَالَ : أَصْدَقَنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِهَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ . فَأَخْبَرْتُهُ بِالْحِكَايَةِ
عَلَى حَقِيقَتِهَا . فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي التَّوَسُّعَةَ وَأَنَا وَاللَّهُ ثُمَّ وَاللَّهُ
لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هَذَا الْكَيسِ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ مَا

أَرْسَلْتُهُ لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ الْمَوَاسَّةَ إِنْ كَانَ يُنْصِحُنِي فَوَجَّهَ
إِلَيَّ الْكَيْسَ بِدَانِيهِ وَهُوَ يَخْبِي وَهَذَا أَنَا ذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ. وَبَحِثْتُ إِنَّا كُنَّا
فِي ضَيْقٍ وَلَا يُوْجَدُ عِنْدَ أَحَدِنَا غَيْرُ هَذَا الْكَيْسِ فَهَلُمْ تَنْصِحْنِي. ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ
دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ. وَبَلَغَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ اسْتَدْعَانِي
وَسَأَلَنِي عَنِ الْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا فِي فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنَّا
بِأَلْفِي دِينَارٍ وَلَا مَرَأَتِي بِأَلْفٍ دِينَارٍ (لَا بِنِ خَلْكَان)

فِي تَقْدِيمِ الْإِكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غَزَارَةِ حِفْظِ الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ مَنُونٍ مَا
حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زَهْرِي بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قَدْ مَاتَ
عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ يُنْفِ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيْزِ دَارِنَا
وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِجٌ أَمْرُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَعْيَانِ. فَجَاءَ النَّاسِجُ
بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَبْنِ الْأَصْلَ الَّذِي كَتَبْتَ مِنْهُ لِأَقَابِلَ
مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِيَ. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الدَّهْلِيْزُ
عَلَيْنَا رَجُلٌ يَدُ الْهُنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ
قَدْ لَا تَبْقَى مِنْ غَيْرِ إِنْفَانٍ لَهَا. فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَاهِدِيَّةِ فَسَلَّمَ
وَقَعَدَ وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ
نَائِمٌ. هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكْلِيفِ حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ نَزْوَةُ الصَّبِيِّ
وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةٍ هَيْئَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هَذَا

الْكِتَابُ الَّذِي بِيَدِيكَمَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُؤْلُكَ عَنْهُ. قَالَ أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ
أَسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكِتَابِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الْأَغَانِي. فَقَالَ:
إِلَى آيِنَ بَلَغَ الْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى
طَرِيقِ الشَّخْرِيَّةِ بِهِ وَالضَّحِكِ عَلَى قَالِسِهِ. فَقَالَ: وَمَا لِكَاتِبِكَ لَا يَكْتُبُ.
قُلْتُ: طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ لِإِعَارِضٍ بِهِ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ.
فَقَالَ: لَمْ أَجِئْ بِهِ مَعِيَ. فَقَالَ: يَا بَنِي خُذْ كَرَارِيْسَكَ وَعَارِضْ. قُلْتُ:
بِهَذَا وَأَيْنَ الْأَصْلُ. قَالَ: كُنْتُ أَخْفِظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مَدْفَعِ صِبَايَ. قَالَ:
فَتَبَسَّيْتُ مِنْ قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّي. قَالَ: يَا بَنِي أَمْسِكْ عَلَيَّ. قَالَ:
فَأَمْسَكْتُ عَلَيْهِ وَجَعَلْتُ يَقْرَأُ. قَوْلَهُ إِنَّ أَخْطَأَ وَأَوْ أَلَفَا قَرَأَ هَكَذَا انْحَوَا
بَيْنَ كَرَارِيْسَيْنِ (كَرَارِيْسَيْنِ). ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السَّفَرِ وَآخِرِهِ فَرَأَيْتُ
حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَاشْتَدَّ عَجَبِي وَقُمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي
فَأَخْبَرْتُهُ بِأَخْبَرٍ وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُلْتَمًا
بِرِداءٍ لَبَسَ عَلَيْهِ قَبِيصٌ. وَخَرَجَ حَاسِرَ الرَّأْسِ حَافِي الْقَدَمَيْنِ لَا يَرْفُؤُ عَلَى
نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوسِعُنِي لَوْ مَا حَتَّى تَرَأَى عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَتْهُ
وَجَعَلْتُ يَقِيلُ رَأْسَهُ وَيَدْبِيهِ وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ أَغْنِيَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَغْلَبَنِي
هَذَا الْخَلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ وَجَعَلْتُ بِسُفْيِي وَالرَّجُلُ يُخْفِضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَا
عَرَفَنِي. وَأَبِي يَقُولُ: هَبْ مَا عَرَفَكَ فَمَا عُدْرُهُ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ. ثُمَّ أَذْخَلَهُ
الدَّارَ وَأَكْرَمَ مَجْلِسَهُ وَخَلَا بِهِ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا. ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ وَأَبِي بَيْنَ
يَدَيْهِ حَافِيًا حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ. وَأَمَرَ بِدَائِيهِ إِلَيَّ بِرُكْبَتَيْهَا فَاسْرَجَتْ وَحَلَفَ
عَلَيْهِ لِيَرْكُبَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَلَمَّا انْفَصَلَ قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا

الرَّجُلُ الَّذِي عَظَمْتَهُ هَذَا التَّعْظِيمَ . قَالَ لِي : أَسَكْتُ وَنَحَكَ . هَذَا أَذِيبُ
الْأَنْدَلُسَ وَأَمَامَهَا وَسِيدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَابِ . هَذَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ
عَبْدُونَ . أَيْسَرُ مُحَفِّظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِي وَمَا حِفْظُهُ فِي ذِكَاةِ خَاطِرِهِ
وَجُودَةٍ قَرِيحِهِ (محيي الدين المراكشي)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْإِصْطِفَاءِ بَعْدَ الْخَبَرِ
قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَنْدَبَا الْفَيْلَسُوفَ أَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الَّذِي
يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا
يَنْبَغِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ أَوْ عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ بِطَيْرٍ يَحْنَأَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ
وَالسَّاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَةِ وَأَشْكُرُ
لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَجِنْدٌ يَجِبُ عَلَى خَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ
أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يُضِعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ
بِشُكْرِهِ وَلَا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرِ بِطَرَاتِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَقَائِهِ
وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَانِهِ إِذَا كَانَ
غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِقْدَهُمْ لِلْيَعِيدِ إِذَا كَانَ
يَفْعِلُهُمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ جِنْدٌ عَارِفًا بِحَقِّ مَا أَصْطَنَعَ
إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِهِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مَحْمُودًا يَأْتِضِعُ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ صَدُوقًا عَارِفًا
مُؤَثِّرًا لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ
الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَأَصْطِفَاءِهِ

أَهْلًا . فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بِجَدِّ
النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالتَّجَسُّسِ لِعُرُوفِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عَلَيْهِ . فَإِذَا عَرَفَ
ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاةِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ
أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ التَّخَبُّرِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ
الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ
وَفَسَادٍ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ
يُحِبَّ شُكْرُهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِيهِ
عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَاةِ . وَرُبَّمَا تَحَذَّرَ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ
أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنُ عَرَسٍ فَيَدْخُلُهُ فِي كُبَيْهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْآخَرَى
كَالَّذِي يَجْمَلُ الطَّائِرُ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ .
وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَفِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا
مِنَ الْبَهَائِمِ وَلَكِنَّهُ جَدِيدٌ بِأَنْ يَلُوكُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْكُمْ عَلَى قَدْرِ مَا
يَرَى مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذَلِكَ أَمْثَالُ ضَرْبِهَا الْحُكْمَاءُ (كَلِيلَةُ وَحْسَنَةِ)

الْحُبَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذِكْرُ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْبَاسِ طَلَبَ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَا زَمَ
أَنْتِطَاعَهُ وَأَنْتَقَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَاشْتَغَلَ لِإِقَامَةِ أَوْجِهِ بِالزَّرْعَةِ .
وَأَنْزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحَبَ حَبَّةَ كَانَتْ تَأْتِيهِ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ .
وَتَأْكُلُ مِنْ فَضَائِلِ طَعَامِهِ . فَتَرَفَّتَ بَيْنَهُمَا الْمِعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى
الْبُعَاقَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ الْمِمَادِقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَخُحْبَةِ
أَبْنَاءِ الزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ الْغَدْرِ فِي غُدْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةٌ بِنَفَاقٍ . وَلَا

مَذْخُولَةً بِرِثَاءٍ وَشَقَاقٍ . وَأَنْ تَنْعَفِدَ بَيْنَهَا الْمَوَدَّةُ وَالْإِخْلَافُ . فِي حَالِئِهِ
السُّدْفِ وَالرَّخَاءِ . فَمَرَّ عَلَى هَذَامَةٍ وَكُلَّ حَافِظُ عَهْدٍ مِرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوِدَّةً .
وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا عَنَتْ لَهُ قِصْبَةٌ عَرَضَهَا عَلَى الْحِمَّةِ وَأَسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ
أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ فِي إِلَيْهِ . وَتَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهِ . فَبَيْنَ بَعْضِ الْأَيَّامِ . وَعَامٍ
مِنَ الْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ . وَجَلَّحَ وَجَلِيدٌ . فَرَأَى الْحِمَّةُ وَقَدْ سَقَطَتْ
فُؤَاهَا . وَخَدَّتْ أَعْضَاهَا . وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٌ وَوَبَالٌ . فَحَمَلَتْهُ
السُّنْفَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمُوا ثَاقَةً عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مَخْلَافَةِ
حِمَارِهِ وَأَذْنَاهَا وَوَضَعَ الْخِمْلَةَ فِي رَأْسِ الْبِهِمِ . وَتَوَجَّهَ لِضُرُورَةِ ذَلِكَ
النَّهْمِ . فَحَسَّتِ الْحِمَّةُ بِنَفْسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ الْعُدْوَانِ الْقَدِيمِ .
وَعَادَ . وَقَعَلَ خُبْنُهَا خَاصِيَتُهُ الْمَأْلُوفَةُ . وَلَعِبَ سُهْمَا سُبَيْتَةِ الْمَعْرُوفَةِ . مَتَبَعًا
حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْحَيِثِيَّةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسَيَّ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ
إِلَيْهَا . فَغَضَبَتِ الْحِمَّةُ شَفَةَ الْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتِ الْحِمَّةُ
إِلَى مَجْرَاهَا . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا بِأَذْوَى الْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ
صَحِبَ الْأَشْرَارَ . وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ الْفُجَّارِ . لَا يَأْمَنُ الْعِثَارَ . وَلَا يَسْلَمُ مِنَ
الْأَنْكَادِ وَالْثَوَارِ (فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَالْمُخَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا أَشْتَرَى
دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرِيَ فِيهَا كَثْرًا فَبَضِيَ إِلَى الْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ
بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَثْرًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا
كَثْرٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ الْمُشْتَرِيَ : لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيهَا

أَشْرَيْتُ . فَطَالَ التَّجْدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَا كَمَا إِلَى الْمَلِكِ كِسْرَى . فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ الْكَتْرِ أَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا : أَنْفَعَا ذَلِكَ الْكَتْرَ فِي مَصَالِحِهِمْ . ففَعَلَا ذَلِكَ (للقليوبي)

الْجُوسِيَانِ وَالنَّارُ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ جُوسِيَانِ يَعْبُدَانِ النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هَذِهِ النَّارَ ثَلَاثًا وَسَعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ تَنْظُرْ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِنْ لَمْ يَعْبُدْهَا . فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عِبَدْنَاَهَا وَلَا فَلَآ . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعِ أُنْتَ قَوْضَعَ الْأَصْغَرُ يَدَهُ فَحَرَّقَتْ إِبْصَعُهُ فَرَزَعَ يَدَهُ وَقَالَ : أَيْهَ أَعْبُدُكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتَ تُؤْذِينِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَخِي تَعَالَ تَعْبُدْ مَنْ لَوْ أَذُنُنَا وَتَرَكَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعُوَ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ . فَأَجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ (للقليوبي)

فِي حِلَّةٍ فَائِدٍ جَبَشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ طَبْرَسْتَانَ . فَبَدَّلَ الطَّبْرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ فَأَمْكَنَهُ . فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَبْشًا كَثِيفًا . فَعَلِمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْجَبْشَ لَا يَتَرَلُونَ إِلَّا بِغِيْضَةِ مُعْسَنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيْضَةِ وَتَرْكِهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً . وَسَرَّ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْجَبْشُ وَتَرَلُوا بِهَا

كَمَنَّ الطَّبْرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَشَدَّ النِّجْشُ دَوَابَّهُمْ
فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغُبُصَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً. فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الطَّبْرِيُّ
بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَتَفَرَّتِ الدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتِ الْأَشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَّ
جَرَّتْهَا. فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ قَرِيبِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ
الطَّبْرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَجَاءَ أَقْلَهُمْ وَكَلَّفَ أَكْثَرَهُمْ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى
السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ وَأَنَا فِي جَنْحِ
الْأَلْبَلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضْرِبُنَا بِالْأَشْجَارِ الطَّوِيلَةِ. فَلَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُتَقَوِّمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشْيِ إِلَى طَبْرَسْتَانَ (للفزوي)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرَوَّى عَنْ بَعْضِ الْكُرَمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ. وَعَمِلَ
لَهُمْ سَمَاعًا. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَكَلِيمًا ظَرَفًا وَأَنْبِيئًا
أَدَبًا وَلُطْفًا. فَكَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَجِدُهُمُ الْجَمَاعَةُ وَيُؤَانِسُهُمْ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ
طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا. فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ
يُظْهِرْنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ. فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ. وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ
حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ. فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْغِصُ عَلَيْهِمْ غُرْسَهُمْ وَلَدَتَهُ. فَامْتَثَلُوا
مَا أَسَارِيهِ. وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ فَخَضَرَ السَّمَاعُ وَأُظْهِرَ الْمَسَرَّةُ وَالْأَنَسَ بِهِمْ.
فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ الشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ. فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ
نَامَ. فَأَذَرَهُمُ اللَّيْلُ. وَيَأْتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ.
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدَّمَ لَهُمُ الْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَلَدُوا الْإِنْصِرَافَ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ
تَحْضُرُونَ حِنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحَةَ. وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ. فَلَمْ

يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مَرْوَةَ وَاتَّقَى عَلَيْهِ بِحَبِيلِ صَبْرِهِ وَعَظَمِ
كَرَمِهِ (تزيين الاسواق)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّي

فَبَلَإِنْ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ قَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ
بِحَاثَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَصْدُ الدُّوَلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ
فُطَاعُ الطَّرِيقِ فَهَرَبَ الْمُتَنَبِّي مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ : أَتَهْرَبُ وَأَنْتَ
الْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

أَتَحْبِلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَدَا تَعْرِفُنِي وَالضَّرْبُ وَالْحَرْبُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَكَرَّرَ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٢٥٤ فَكَانَ ذَلِكَ أَلْيَثُ سَبَابٍ لِقَتْلِهِ (للقليوبي)

الْحُرَيْرِيُّ وَالْغَلَامُ

يُحْكِي عَنِ الْحُرَيْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشَعَ الْمَنْظَرِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . فَجَلَسَ غُلَامُهُ
يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَارَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَّمَ نِصْفُ نَيْتٍ وَهُوَ : وَجْهَ
الْحُرَيْرِيِّ وَجْهَ فَرْدٍ . فَسَمِعَهُ الْحُرَيْرِيُّ فَقَالَ : وَالضَّرُورَةُ أَخَوْجَنَّا إِلَيْهِ .
فَحَجَلَ الْغَلَامُ مِنْ سَيِّدِهِ وَسَكَتَ . ثُمَّ أَجْتَمَعَ الْحُرَيْرِيُّ مَعَ الْحَافِيَةِ وَأَخْبَرَهُ
بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يَكْمِلَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ أَفْتَحَنِي
بِفَرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يَكْمِلَنِي بِكَلْبٍ فَكَمَلْتُهُ لَهُ (للبيهقي)

فهرسة

الجزء الاول

من امثال لقمان الحكيم

وجه

٢	اسد وثوران
٢	غزال
٢	اسد وتعلب
٤	اسد وانسان
٤	غزال واسد
٥	غزال وتعلب
٥	ارنب ولبق
٥	امراة ودجاجة
٥	بعوضة وثور
٦	بستاني
٦	انسان وفرس
٦	انسان وخنزير
٧	سلحفاة وارنب
٧	ذهب
٨	العومح
٨	صبي
٨	صبي وعنرب
٩	حمامة
٩	حداد وكلب
١٠	البطن والرجلان
١٠	الشمس والريح
١٠	ديكان
١١	دهاب

الور والمخطاف
بطلة وضوء كوكب

١١
١١

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

١٢	حكاية الملك جليعاد وابنه
١٤	حكاية السنور والفارس
١٩	حكاية الناسك وما جرى له
٢٢	حكاية السمك وما جرى لم
٢٤	حكاية الغراب والحية
٢٦	حكاية حمار الوحش والتملب
٢٨	حكاية ابن الملك الصائح
٣١	حكاية الغراب
٣٤	حكاية المحاري واولاده وزوجته واهل بيته
٣٦	حكاية العنكبوت والريج
٤٩	حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم
٦٠	حكاية الطيور
٦٣	الدراج والسلاحف
٦٥	التمالب والذئب
٦٧	السندباد البحال
٧٩	حكاية عابد
٨٠	حكاية الراعي والعابد

حكاية ملاك الموت

٨٣	الحكاية الاولى
٨٤	الحكاية الثانية
٨٥	الحكاية الثالثة
٨٦	ذكر الموت الدائم

ما كتبه بعض العلماء في الجود والكرم والمكافأة وغير ذلك

٨٨	في طلبني اعين
٨٩	في قطب قوت قطباً
٨٩	في جود ملك
٩١	في جود معن بن زائدة
٩٢	في المكافأة
٩٥	الصانع وصانع الخليفة
٩٧	احسان كرم الى عدو
٩٩	الاصمعي ورجل سخي
١٠١	آكرام ثلاثة اصداق مخلصين بعضهم بعضاً
١٠٢	في تقديم الأكرام لاهله
١٠٤	في وضع المعروف في موضعه والاصطفاء بعد الخيرة
١٠٥	الحجة والانسان
١٠٦	كسرى والمتحاكم
١٠٧	المجوسيان والنار
١٠٧	في حيلة فائد جيشه
١٠٨	في الصبر والمروءة
١٠٩	موت المتني
١٠٩	الحرمري والعلام

